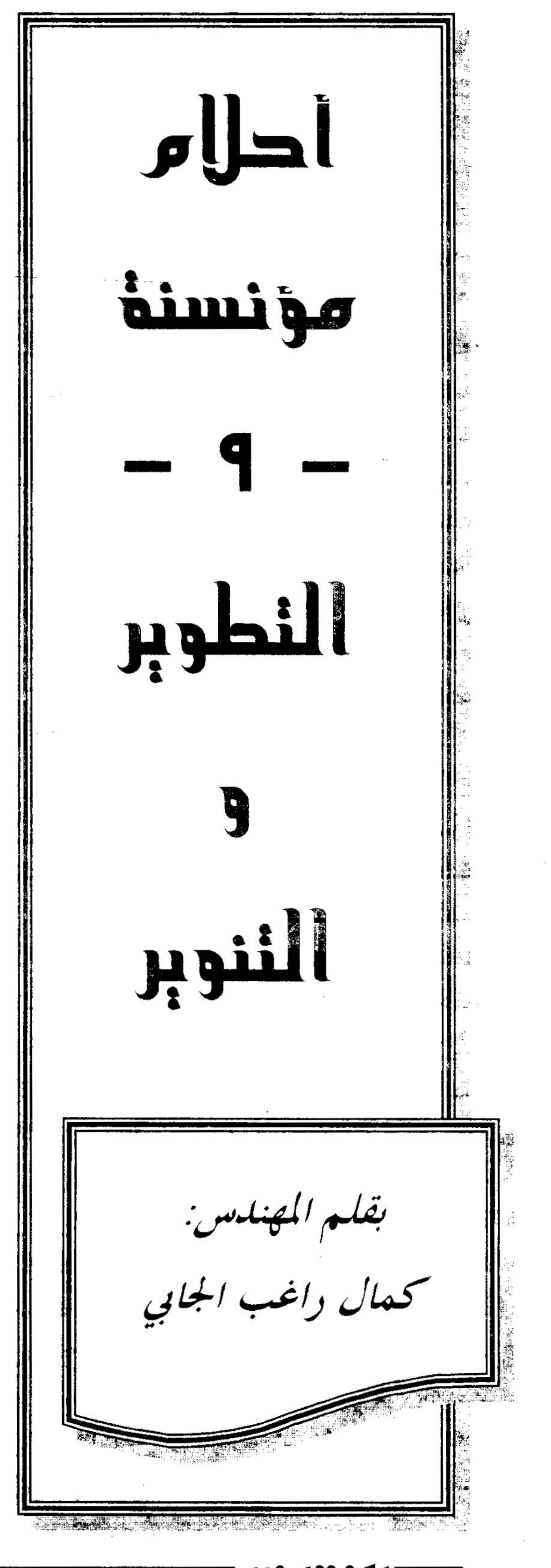


تقوم الحياة بمجملها على مجموعة من النواظم والمؤثرات والتي تضبطها بعض من الدلائل والمؤشرات ويحكمها عدد من القوانين ذات التفانين. والتي أهمها قانونا (الانحلال والحلول) اللذان يهيمنان على جميع فعالياتها ويسيطران على كامل جزئياتها. فقانون الانحلال الذي يعني حتمية الانتقال من حالة إلى أخرى في السن والسكن والعمل والأمل والفقر والغنى والصحة والمرض هو الذي يقود إلى الزوال الذي هو المبدأ الأزلي الشامل. فما من كائن في هذا العالم إلا ومصيره إلى الفناء التدريجي الجزئي أو الكامل النهائي لأن كل شيء في هذا الكون فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. وما من عمل يستمر به الإنسان إلى الأبد رغم أنه الكائن الأسمى في الوجود الملموس... فهو يقوم باستبداله بعمل آخر طوعاً أو كرهاً في مرحلة من مراحل حياته أو أنه يقوم بتحديث الأدوات التي يستخدمها فيه أو بتغيير أسلوب أدائه له في جميع مراحله. مما يقود إلى انبثاق أشكال أخرى وفعاليات جديدة قد تكون مسايرةً للأصل أو مغايرة له ومخالفة للأسس التي يستند عليها. وباعتبار أن دوام الحال من المحال في ظل هذا القانون فإن استمرار الحياة يتطلب قيام أشخاص جدد بتأدية الأعمال التي كان الأناس القدامى يقومون فيها تنفيذاً للقانون الثاني الذي هو (قانون الإحلال) والذي يعبر عنه المثل الشعبي القائل (لو دامت لغيرك لما وصلت إليك).. ومن الطبيعي أن يقوم اللاحقون بوضع بصماتهم الخاصة ولمساتهم الذاتية على هذه الأعمال مما يؤدي إلى تلوين الحياة بألوان متباينة وتطعيمها باتجاهات قد تكون صاعدة أو هابطة حسب مؤهلاتهم وتوجهاتهم، ونشاطاتهم وممارساتهم، وطرق مواجهتهم للمستجدات التي تعترض مسيرتهم.

وهـذا مـا يطلـق علـيه اسم قانون (التغيير والتـبديل) أو قانـون (التطوير) وهو القانون الـثالث الذي يتحكم بالحياة ويضبط مسيرتها.. وأمـا الوسـائل التي تستخدم في هذا التغيير والـسرعات التـي يـسير فـيها ذلك التبديل فيخـضعان إلى القانون الرابع الذي ينظم هذه المـسيرة ويحـدد مـداها أو يطلقه.. ويسور أبعادها أو يتركها مشرعةً في وجه كل جديد.. وهـو مـا يمكـن أن نطلـق عليه اسم قانون (التنويـر) الـذي يرتكـز أكثر ما يرتكز على المـشاعل التـي يحملهـا بعـض المفكـرين والمـنارات التـي يقـيمها عـدد من الحكماء ويعلونها لتضيء الطريق أمام الآخرين وتسهل عليهم سلوكه لما فيه خيرهم ومنفعتهم..

ويعـد العقـل الوسـيلة الأفعل والأداة الأفـضل التـي يـستخدمها المفكرون ويعليها الحكمـاء من أجل وضع أمثل الحلول للوصول إلـى مـا هـو مأمـول وهو جوهر التطوير وجوهـرة التنويـر اللـذين سنسلط الأضواء عليهما في هذا الحديث مكتفين بما ذكرناه عن قانونـي (الحلـول والانحـلال) في صدر هذا المقـال. دون أن نـدخل فـي تفـصيلاتهما وجـزئياتهما لأن التدخل في أولهما ضرب من المحال وتقييد ثانيهما له غير هذا المجال..

وقد سبق لأفلاطون أن صمم قبل أربعة وعـشرين مـن القرون عربةً يجرها جوادان أحـدهما قـوي ونشيط يمثل الجسد وشهواته البطنـية والجنسية منها بشكل خاص. والجواد الثانـي أنـيق ورشـيق يمثل القلب وتطلعاته العاطفـية وتجلياته الروحية التي تحتل الميول مركـز الـصدارة منها.. أما سائق هذه العربة فيـبدو رابـض الجأش ثابت الجنان يظهر من خـلال أغلفـة رأسـه الـشفافة النافذة دماغ يتوسـطه عضو متعرج السطح متداخل الثنايا يبـرز مـنه فصان مشعان تتجه أشعتهما إلى يـدي السائق الممسكتين بالجوادين معا تحاول أن توازن بينهما وتضبط خطواتهما نحو غاية بعيـنها حـددها الخالق العظيم بعد ذلك بعشرة من القرون للأمة التي أنزل عليها قرآنه الكريم وكلفهـا بنشرها بين أمم الأرض جميعا بعد أن أطلق عليها اسم (وسطية) وأطلقها لكي تنطبق علـى كـل أمـور هذا الوجود وبخاصة على المعـاملات التي تنعكس على الثروات. وعلى العـبادات التي تكتسب قيمتها من الممارسات. والتـي قيد بموجبها الدرجات وجعلها إنسانية التوجهات..

والـدماغ الذي يحتوي على المخ هو العـضو الـذي يرمـز به للعقل ويكنى به عن التفكير وينظر إليه على أنه مصدر للرؤى وأنه قلـب كبيـر يتألف من فصين تنبئ الدراسات الحديـثة أن الأيـسر مـنهما يختص بالأمور التكنولوجـية العلمية والأيمن يختص بالأمور الإبداعـية الغيبـية.. كمـا تـشير بأن العقل باعتـباره مـوطن إلتمييز ووسيلة المعرفة لا يعـتمد على عضو بذاته وحاسة بعينها بل هو نـتاج تفاعـل جميع الحواس وحصيلة تشابك أعـضائها وتلاحـم وسـائل اتصالاتها. وأنه مفهـوم معجـز ومـدهش يشبه شمساً كبيرة متفجـرة فـي مجرة تتلألأ فيها ملايين الأفكار والخواطـر والـنوايا والتصورات. وأنه مثلها يلقـي ضـوءه علـيها ويبعث بحرارته إليها فيثـريها ويخـصبها ويـدفعها إلـى المفـيد والمجـدي. وأن مكـونات المجرة التي ينتمي إليها هي مرجعيته. حيث لا يصح أن يكون هو مـرجعية نفسه لأن هذا الاتجاه يقرب صاحبه مـن نفـسه ويغـرّبه عن بيئته ويجعله يسير لـوحده في طريق خاص به مما يعرضه للخلل وللخلخلة وبشكلٍ يوصف صاحبه معه بالفردية والاسـتئثار باتخـاذ القـرار.. وأما إذا تبادل الـضوء مـع الـشموس المتفجـرة الأخرى

المتناثـرة فـي محيطه واستمد الحرارة منها بالطـريقة التي يمدها فيها وأثرى عن طريقها وأخـصب بوسـاطة الـتلاقح معها فإنه يقرب أصـحابها مـن غيـرهم ومن بيئتهم ويجعلهم يـسيرون معاً في طريقٍ عريضٍ يتسع للجميع لا خلـل فـي الأبنية المتناثرة على جانبيه ولا خلخلـة فـي كيانات من أقامها ومن يقيم فيها وبشكلٍ يوصف به هؤلاء الأصحاب بالتشاركية وبالإسـهام فـي اتخاذ القرار عن طريق العقل الجمعـي أو ما أطلق عليه اسم (الشورى) في لغـة الـسماء ومـا يطلـق علـيه اسـم (الديموقراطية) في لغة بعض شعوب الأرض.. فالعقـل بهـذا المفهـوم، وكما شكله الخالق العظـيم، يشبه الطائرة ومرجعيته تشبه المطار الـذي تـنطلق منه وتعود إليه. إذ يفترض أن تقـوم هـذه الطائرات وخلال رحلاتها العديدة ورحلة الأفكار التي تهبط منها أو تصعد عليها فـي المطـارات التي تحل بها كما يفترض أن يقـوم الهابطون والصاعدون إضافة إلى قواد هـذه الطائـرات أو (الكـباتن) جمـع (كابتن) بـتفحص الإجراءات السائدة فيها والتدقيق في القـيم التي تحكمها لمقارنتها بما هو سائد في المطـار الـذي ينتمون إليه وينطلقون منه من قـيم وإجراءات.. وينتظر من هؤلاء (الكباتن) أن يـتكاتفوا مـع العائـدين المنـصفين ومع القادمـين الموضـوعين للعمـل علـى تعديل الأوضـاع فـي مطـاراتهم بشكل توفيقي غير تلفيقي مع ما هو منتشر في المطارات الأخرى بهدف تقارب المصطلحات وتناسب المعطيات. وذلك بعد إغفال ما هو جامد وراكد ومفعول به مـن هـذه العقـول وكل ما هو رافض للآخر بعجـره وبجـره. وإعمال ما هو راشد وواعد وفاعـل فيها والذي هو على استعداد للتفاعل مـع أفكـار الآخرين وتبادل التأثير معها. لأن هـذه العقول الأخيرة هي القادرة على التغيير عـن طريق تسليط أضواء التنوير للفصل بين الـثوابت والمتغيـرات مما يتطلب منها تركيز الجهـود علـى العقـول التي تتصف بالتزمت وتلتـزم بـه والتـي لا تستمع إلا إلى صوت قلـوبها ولا تسير إلا في دروبها دون أن تلقي بالاً إلى عيوبها والتي تهمل عقولها وتغفل ما تتوصـل إلـيه من أحكام مخالفة الآية الكريمة ﴿.. أم لهم قلوب لا يعقلون بها﴾..

ومـمـا لا شـك فيه بأن من أهم بنود قانـون التطويـر التـي ينتظر أن تحملها هذه العقول إلى مطاراتها وإداراتها ضرورة تقديس القوانـين واحتـرام الأنظمة لأنها الأساس في تحـديث جمـيع فعالـيات الحياة ونشاطاتها. وانعكاس ذلك على زيادة الدخل القومي وعلى تحفيـز إسهام المواطنين فيه إنتاجاً واستهلاكاً وارتـباطه بإقـرار الـتكافل الاجتماعـي بين أرجائهـا لتأمين الكفاية المادية لأبنائها ونشر مفـردات المحبة في أنحائها والتي تتجلى في رفع مستويات معيشة أفرادها عن طريق عدالة تحديـد الأجـور ورفـع متوسطاتها مع تأمين فـرص العمـل لجميع المواطنين ودفع رواتب بطالـة فـي حـال عدم تأمينها واتباع جميع الإجـراءات التي تنصب على الاهتمام بالإنسان وإتاحـة الفرصـة له للوصول إلى حقوقه بعد فـرض النواظم التي تجعله حريصاً على القيام بواجباته والعمل الجاد على حسن تطبيقها. مع إيـلاء الأهمية الكبرى للتغلب على الاختلافات التـي تميز بعض المجتمعات عن غيرها والتي تتجلـى بخلخلة مفاهيم المحبة فيها نتيجة لعدم وضـوح الـرؤية بالنسبة لها وبتغليب مفهوم الحب بين أرجائها وحصر هذا المفهوم بالعلاقة مـع واحـد أو أكثـر من أفراد الجنس الآخر تحديـداً.. وذلـك عن طريق التأكيد بأنه إذا لم يولد حب شخص بعينه محبة الناس جميعاً فهو لـيس إلاّ حباً للذات. والتذكير دوماً بقول النبي

الكـريم ((لا يـؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحـبه لنفسه)). والتركيز على أن نشر مفاهيم المحـبة في أي من المجتمعات كفيل بتطويره وتنميـته لأنه يتطلب بالضرورة الاعتماد على عقول المواطنين وقلوبهم في آن معاً..

مـن هذا المنطلق فإن المؤنسنين من البـشر يؤمـنون بأن فكر (الوجدان)هو الذي يؤدي إلى نشر مفاهيم المحبة بين الناس، وأنه رسـول الإنسان فـي كـل زمان. وأن فكر (العـدوان) هـو الذي يؤدي إلى نشر مفاهيم الكـراهية وهو رسول الشيطان في كل مكان. وأن العقـل هـو الرسول الذي منحه الله لكل مخلوقاته كي يستخدمونه في تصريف أمورهم للتوفـيق بين أحكامه ومقتضيات النقل بعد أن وصلوا إلى درجة من التطور تمكنهم من حسن اسـتخدامه. وأن ختم الرسالات والتوقف عن بعـث الرسل والأنبياء لم يكن إلا بهدف تسليم هـذه العقول أمر الهدايات على ضوء المنارات التـي أقامها السابقون منهم والتي يفترض أن تطفـئ مـنارة المحـبة التـي رفعتها العقيدة المسيحية منارة العدوان التي أرساها محرفو الـشريعة الـيهودية. وأن تـزداد هذه المنارة تـوهجاً عـن طريق منارة السلام التي رفعتها شـريعة الإسـلام والتـي دعمـتها بمشاعل الاستقامة والوسطية والمساواة والعقلانية في ظل المنارة الأعلى التي يفترض أنها تمد جميع هذه المنارات والمشاعل بالضوء والطاقة وهي مـنارة التوحـيد والتي لا تعني إلاّ إلغاء جميع الآلهـة والأرباب البشريين بصورهم وأشكالهم المختلفة وعدم الإيمان إلاّ بإله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. عن طريق الامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه..

وإذا كـان العقـل والجمعي منه بشكل خاص. والفكر والمؤنسن منه بشكل أخص هما اللـذين أنيط بهما أمر التنوير بعد التوقف عن إرسال المنورين المجسدين فإنه ينبغي على كل مـن يحمل لواء التغيير ويتحمل أعباء التطوير أن يكون من المفكرين والعقلاء، والذين يطلق علـيهم اسـم حكمـاء عامـة، وفـي جميع المجـتمعات. ولكـن هذا لا يعني أنه يجب أن يكونـوا منهم حصراً. وإنما قد يسهم كثير من الأشـخاص العاديـين الذين يحسنون استخدام عقولهم وتوجيه أفكارهم في تطوير مجتمعاتهم بدرجـة أكبر مما يسهم بها المفكرون والعقلاء ذلـك لأن هـؤلاء الأشخاص العاديين يقومون باتخـاذ الإجراءات العملية التطبيقية التي تعمل علـى التغييـر والتطويـر أكثر من الإجراءات النظـرية والتنظيرية التي قد يكتفي المفكرون بإطلاقها دون أن يعملوا على رفدها بإجراءات تطبيقية فعالة من قبلهم مع عدم إنكار بأنه من المـؤكد بأن أفكارهم ودعواتهم غالباً ما تكون وراء تحفيز الأشخاص العاديين على ترجمتها إلى ممارسات فعلية وبخاصة إذا كانت واضحة وجلية ومحددة وليست مجردة..

ولعـل تلمـس بعض اللقطات واسعة الانتـشار في المجتمعات المتقدمة والمحدودة وتكـاد تكـون بحكـم النادرة في بعض الدول المتخلفة سواء على الطبيعة أو على الشاشتين الـصغيرة والكبيـرة يوجـز الدوافع ويلخص الأسس الكامنة وراء تطور المجتمعات وتقدمها وتتضمن هذه اللقطات فيما تتضمن تصدي قلة من الناس للممارسات اللا عقلانية والتي هي، لا أخلاقـية ولا مـشروعة بالضرورة، والتي تتنافس على القيام بها كثرة متزايدة من البشر وتحـاول تعمـيمها لتصبح المعيار والمقياس والأصـل والأساس في التعامل مع الآخرين.. كاللقطـة التـي تظهـر الأب الذي يرفض أن يتحول إلى ذنب للدفاع عن بعض أبنائه عندما يكـون علـى قـناعة بـأنهم على باطل وأن خـصومهم علـى حـق.. واللقطة التي تظهر

الموظف الذي يرفض أن يتحول إلى مواطن مزيف عن طريق عدم استجابته لراش يحاول أن يشتريه وقيامه بالتبليغ عنه لإحباط مساعيه. واللقطة التي تظهر أحد الركاب الذي يرفض أن يتحول إلى أحد المركوبين بإصراره على عدم دفع سوى السعر الذي يظهر على شاشة عداد سيارة الأجرة التي يركبها مهما بلغت درجة شيطنة سائقها ووصلت إليها زعرنته. واللقطة التي تظهر واحداً من المواطنين لا يرغب في التحول إلى واحد من أعداء الوطن عن طريق رفضه الامتثال إلا للسعر الذي حددته التعرفة الرسمية بعد تحريه عنها في حال عدم وضعها في مكان بارز لدى الجهة التي يتعامل معها سواءً أكان صاحبها جزاراً يبقر البطون ويبيع اللحوم ويغالي في رفع سعرها أو كان جراحاً يسلب الجيوب لقاء إعمال مشرطه في القلوب أو باقي ما هو معطوب من أجساد الزبائن، أو صاحب مشفى متخصص في إلغاء المعقول بكل ما يتعلق بجمع الفلوس، أو صاحب مدرسة يفترض فيه أن يقوم بتهذيب العقول والنفوس، أو باقي أصحاب المهن الذين لا همّ لبعضهم سوى (وسخ الدنيا) ولا أسلوب عندهم سوى القيام بكل ما هو وسخ للوصول إلى هذا الوسخ.. حيث يقوم أبطال هذه (اللقطات) مقام الأشخاص الآخرين الذين يتقاعسون عن المطالبة في الحقوق التي منحتهم إياها المجتمعات التي يقيمون بها والتي يكفي إصرارهم على عدم تجاوز النواظم القائمة بشأنها لكي يتمتعوا بمزاياها ويستفيدوا من منافعها. وبحيث ترتبط درجة هذا التقاعس بدرجة التدهور والتقهقر التي وصلت إليها مجتمعاتهم. كما يكفي بوجهة نظر هؤلاء المؤنسنين قيام نسبة قليلة وبحدود ٥% من المتعاملين مع أصحاب هذه المهن بالمطالبة بحقوقهم التي تجسدها التسعيرات المحددة وبصوت عال وباللجوء إلى الجهات الحكومية المسؤولة في حالة رفض من يتعاملون معهم التقيد بها لتغيير الصورة القائمة في مجتمعاتهم. وتعد الأفكار التي تضمنتها تلك اللقطات المختارة، والتي هي من إنتاج هذه القلة، بداية الطريق وإشارة الانطلاق لتغيير هذه الصورة وتبديل ألوانها الداكنة بأخرى زاهية وتعتبر الإجراءات التي أظهرتها، رغم أنها تبدو بسيطة وغير أساسية لدى بعض السطحيين من البشر، حجر الأساس الذي تبنى عليه كل الممارسات السوية في المجتمعات السليمة ليس للفوائد المادية التي تعود عليهم منها فقط بل لأنها تعلم المواطنين أسلوب المطالبة بالحق والذي لا يقيم الكثير منهم له وزناً. وأن اعتياد هؤلاء المواطنين على إغفال المطالبة بحقوقهم وعلى مدار التاريخ شبيه بالقطرات التي تجمعت وتعاظمت على مدار الأيام لكي تشكل السيل الذي يهدد بجرف بعض القطعان البشرية من بعض المواقع التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم..

وفي هذا السياق فإن اللقطات اليومية المتنامية والمتعاظمة والمشرفة والتي تشير إلى أن بعض المجتمعات المتخلفة والعربية منها بشكل خاص بدأت تنفض النوم عن عينيها وتفك الرباط الذي فرض على عقولها والقيود التي كانت تكبل سواعدها وذلك بعد أن أدركت بأن التضحيات الشخصية التي يقوم بها بعض الأفراد بتقديم أرواحهم هي الطريق الفعال والموحد لاستعادة حقوق أمتهم المغتصبة في فلسطين أو لمجابهة الاحتلال الجاري في العراق، والتي تجلت بأبهى صورها في المقاومة اللبنانية التي تصدت بكفاءة منقطعة النظير للعدوان المجرم على هذا البلد الشقيق. حيث يقوم أبطال هذه اللقطات، والذين

يستحقون لقب أبطال بلا جدال، بالقيام مقام الآخرين الذين يتقاعسون عن المطالبة بهذه الحقوق، أو مجابهة هذا الاحتلال، أو مقاومة ذلك العدوان..

الأمر المؤسف في هذا الموضوع أن بعض الجهات المغرضة والمضللة لا تتوانى عن إدانة هذه التضحيات ووسم القائمين بها بأبشع الصفات. ومن الطبيعي أن يكون أفراد هذه الجهات من أعدائنا وأعداء الإنسانية جمعاء مثل الكاتب اليهودي (توماس فريدمان) المعلق المعروف في جريدة (نيويورك تايمز) والذي يصف القائمين بهذه التضحيات بالمنتحرين ويحصرهم بالمسلمين دون شعوب العالم أجمعين. رغم أن شعوباً كثيرة بيضاء أو سوداء أو صفراء تعلي مفهوم التضحية الفردية من أجل الوطن ويضج تاريخها القومي بأخبار مواطنيها من (المنتحرين) الذين قاموا بتحرير أوطانهم من المستعمرين واستعادة حقوق مواطنيهم من المغتصبين حيث يعد الكفاح المسلح بهدف مجابهة المعتدين حالة العنف الوحيدة التي ينبغي اللجوء إليها من وجهة نظر المؤنسنين الذين يدينون كل أنواع العنف وينادون بإبطال استعمال كل أشكال السلاح باستثناء ما يستعمل منه لتحقيق هذه الغاية.. ويضاف إلى ذلك بأن هذه الجهات المغرضة والمضللة تتناسى عن قصد وتتجاهل عمداً الإنتحارات الفردية والجماعية التي تجري في تلك البلاد والتي تعلن عنها وسائل إعلامها والتي يعمل الكاتب اليهودي (فريدمان) في أبرزها..

وإذا كان يكمن وراء التضحية الفردية بالنفس التي تعد ظاهرة مألوفة في تلك المجتمعات، أسباب يعود أغلبها إلى سعي أصحابها للوصول إلى أهداف قد تكون نبيلة وذات قيم جليلة يشعرون بأنه يحق لهم المطالبة بها بالأسلوب الذي يرونه مناسباً واضعين حياتهم مقابلاً لها لقناعتهم باستحقاقها هذا الثمن الفادح. كما يعود بعضها الأخر إلى الفشل في الوصول إلى هذه الأهداف وغيرها والتي قد لا تحمل قيماً جليلة بالطرق المتاحة. فإنه يكمن وراء الإنتحارات الجماعية التي أعلن عن حدوثها في تلك البلاد إنجذابات التوهم بسراب مسور بأحلام معسولة وأوهام مخبولة يتسم أصحابها بضعف الإدراك وقلة الوعي في مجتمع يعتبر نفسه أنه وصل إلى نهاية التاريخ عن طريق العلم والتقانة اللذين يعدان من أهم إفرازات العقل والفكر فيها..

من هذه الإنتحارات تلك التي تدرب عليها أفراد جماعة أطلقت على نفسها اسم جماعة (المعبد) في ولاية (كاليفورنيا) تحت أنظار وأسماع السلطات فيها قبل قيامهم بعملية (الانتحار) نفسها في مدينة (جونستاون) في (غيانا) بعد أن انطلقت إليها بقيادة زعيمها المدعو (جيمس جونس) الذي أقنع أفرادها بأنهم سينتقلون إلى أحد الكواكب بعد موتهم ليعيشوا بين أرجائه في نعيم. وكان عدد المنتحرين ٩١٨ شخص بينهم ٢٧١ طفل..

ومن هذه الإنتحارات أيضاً ما قام به أتباع أحد الأشخاص ويدعى (دافيد كوريش) عام ١٩٩٣ في ولاية (تكساس) عن طريق حرق أنفسهم في أحد الأيام الذي اعتبروه (يوم القيامة)..

ومنها ما قام به أبناء طائفة تطلق على نفسها أسم (الباب السماوي) في عام ١٩٩٧ في ولاية (كاليفورنيا) بعد أن نشر زعيمها أعلاناً في صحيفة (يو أس توداي) التي تعتبر من أكثر الصحف انتشاراً في تلك البلاد، ذكر فيه حلول موعد (إعادة تدوير) حضارة الأرض الذي ستتحرر فيه روح الإنسان من وعاء جسده لتنطلق إلى الفضاء الفسيح وتحقق حريتها بين أرجائه..

ومـنـها ما قام به ٥٣٠ شخص بينهم قـساوسة ورهـبان مـن أتـباع طائفة تدعى (الحـركة مـن أجـل استعادة الوصايا العشر) بحـرق أنفسهم داخل كنيستهم عام ٢٠٠٠ بعد أداء طقـوس ابـتدأت بالغـنـاء وانتهت بصب البنـزين على نفسهم وإشعال النار فيها سعياً وراء الفناء..

وإذا كان ما ذكرناه بعض الأوهام التي يتعلل بها القائمون بالانتحار والدافعون إليه في تلـك الـبلاد فـإن أوهاماً أخرى يقوم بنشرها الخبـثاء الـشريرون حول الأسباب التي تدعو المـسلمين إلى الاستشهاد الذي يطلقون عليه أسـم (انتحار). منها ما نشره (وليام تاكر) من مركـز (أمريكان انتربرايز) ذي النفوذ الواسع في صنع القرار الأمريكي والذي قال حسب ما ذكره الكاتب المصري (جميل مطر) في جريدة (الحـياة) بـأن المجـتمع العالمي أمام حالة غريبة وأمام عدو في وضع حب مطلق للموت. وأن هذا العدو يختلف عن المسيحيين واليهود والهـندوس والبوذيـين والكونفوشيوسـيين بـسماحه بتعدد الزوجات الذي ينشأ عنه قيام أغنـياته بالاسـتحواذ علـى أغلب النساء في مجـتمعاتهم ممـا يـصيب الفقـراء بالاكتئاب ويـدفعهم إلـى (الانتحار) للوصول إلى النساء فـي الدار الأخرى لذلك يقترح على (الولايات المـتحدة) تقـديم مشروع إلى (الأمم المتحدة) يقضي بتعديل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإضافة بند ينص على حق جنسي الإنسان في التناسـل وبعـده [illegible]يتوقف الإرهاب!.. ولو كان هـذا المحلل [illegible] مخلصاً للإنسان وحقوقه فإنـه يتوجب [illegible] [illegible]ديم اقتراحه، حسب قناعة المؤنـسنين من [illegible]، أن يتقدم باقتراح آخر يتـضمن إلزام الد[illegible] التي ينتمي إليها باحترام حقـوق الإنـسا[illegible] [illegible] كل مكان ومعاقبتها على جمـيع الممارسـ[illegible] الإفتراسية التي تؤكد عن طـريقها بأنهـا تتناغم مع الحيوان ومتطلباته أكثر من تناغمها من الإنسان وتطلعاته. والتي لا تفهـم مـن حقوقه إلاّ ما يتعلق بالأمريكان وجمـيع مـن يتقنون التعامل بالأسلوب الذي يتعامل به أبناء الأنكل سام..

ولعـل أسـوأ مـا في تلك البلاد أنها تمـارس الإرهـاب وترعى الدول التي ابتكرته ومارسـته على مدار التاريخ ابتداءً من أتباع قـوم موسـى فـي جبل سيناء وانتهاءً بقوم صهيون في كل الأرجاء وتقوم بوسم الآخرين بـه بـدون أدنـى حياء.. وأنها تؤمن بعقيدة العـدوان وتتفـنن بأتباعها في كل زمان وكل مكان في الوقت الذي تقوم فيه بإيهام الآخرين بأنهـا الحامية للبشر والمنقذة للإنسان.. وأنها تدعـي اعتناقها لمبدأ نشر الديموقراطية بينما تقـوم فـي واقـع الأمر بحصر تطبيقها داخل حـدودها وتمـارس أقصى أنواع الديكتاتورية خارج حدودها وبخاصة مع النظم الديموقراطية التـي لا تـساير مـصالحها ولا تماشي هواها بالطـريقة نفـسها وبالأسلوب ذاته الذي اتبعه الـصهيوديون علـى مـدار الـتاريخ واللذين نشـروهما فـي كتابهم المقدس ونقلوهما عن طـريق العـدوى إلـى الكتاب المقدس للعقيدة التالـية لهم بعد أن ألصقوا الكتابين معاً.. لذلك فـإن هـؤلاء الإنـسانيين لا يجدوا طريقاً لـ (التطويـر) و (التنويـر) أفـضل مـن تسليط الأضـواء علـى كـل ما هو غير إنسانى في المـبادئ التي تدين بها هاتان الفـ[illegible]ان [illegible] بممارستها وذلك بالعمل الجاد على [illegible] [illegible] جهـة والدعـوة إلى إدخال [illegible] في [illegible] العالمـي لحقوق الإنسان [illegible] الجهود [illegible] تطبـيقها في مجتمعا[illegible] [illegible] والمقـ[illegible] الفاعلة عند محاولة تجاو[illegible] [illegible]غرض نقائه في أي منها.




الأمس يبقى دائماً..

شعر الدكتور: عمر النص

-١-

عــــندما تنطفــــئ الـــــنارُ ويخـــبو الـــشَرَر

عــــندما تنـــتحب الـــريحُ ويبكـــي الـــشَجَر

عــــندما تنـــسى الأعاصـــيرُ متـــى تنتـــصرُ

عــــندما تـــسألين الفلـــك لمـــاذا الـــسفرُ

أهجـــرُ الـــدارَ وفي عـــينيَّ تغلـــي الـــصورُ

وأرى دربـــاً كـــأنَّ الليـــلَ مـــنه يـــثأرُ

وأرى الظـــلَّ الـــذي يهـــربُ مـــني يعـــبرُ

ومقاصـــيرَ يكـــاد الـــنجمُ فـــيها يعثـــرُ

كلّمـــا عاينـــتها ضـــجّ بـــصدري الـــضجرُ







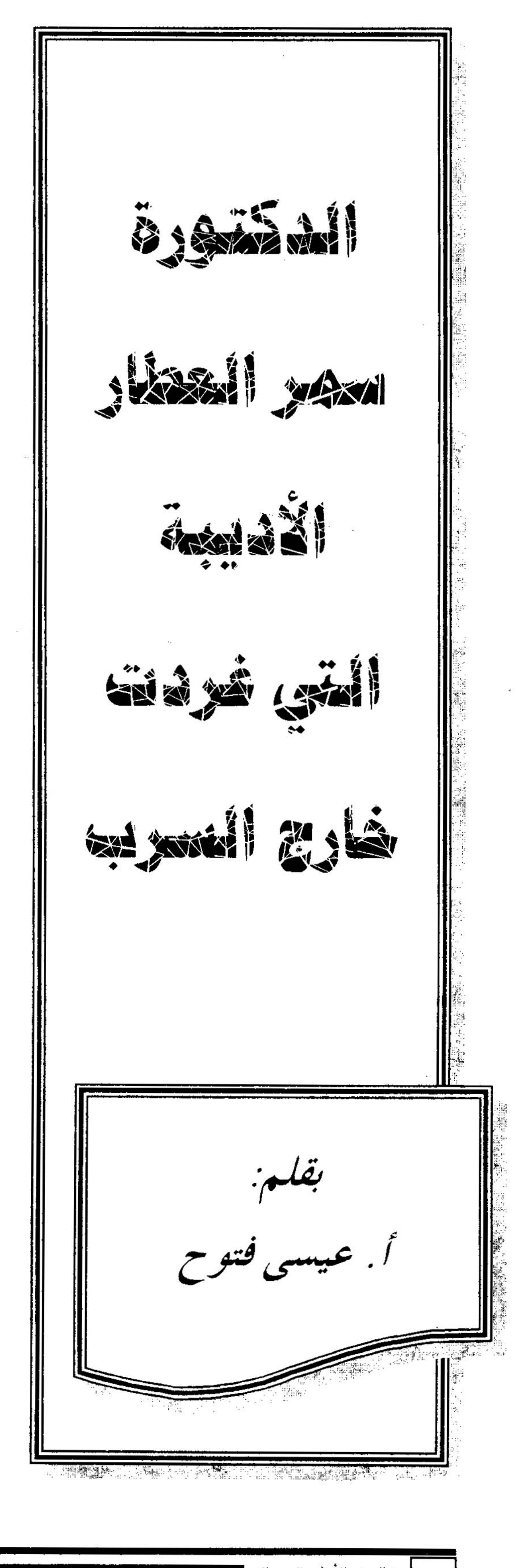
-٢-

عــــندما يـــستيقظُ الحلـــمُ وتـــصحو الذِكَـــرُ
عــــندما تنـــسى الأعاصـــيرُ متـــى تنكـــسرُ
عــــندما تـــسأل عـــن وجهـــي ومـــاذا يُخـــبرُ
عــــندما تـــسأل عـــن فلكـــي أكانَـــتْ تبحـــرُ
عــــندما يحكـــي لـــيَ الغـــيمُ لمـــاذا يُمطِـــرُ
أفـــتح الـــبابَ فتـــنهدُّ أمامـــي الجُـــزرُ
وأرى دربـــاً كـــأنّ الـــشوكَ فـــيه يزهـــرُ
وأرى قافلـــةً تـــنأى ويبقـــى الأثـــرُ
تـــشهق الـــريح إذا مـــرَّتْ ويبكـــي الحجـــرُ

-٣-

عــــندما أنـــسى متـــى جـــئت وينـــسى القـــدرُ
عــــندما أنـــسى متـــى اللـــيلُ ومـــاذا يـــسترُ
عــــندما أنـــسى وينـــسى الفلـــكُ أيـــنَ الأبحـــرُ
أفـــتح الـــبابَ إلى الأمـــس لعلـــي أذكـــرُ
فـــأرى الـــدار الـــتي فارقـــتها تنتظـــرُ..



الدكتورة سمر العطار أديبة وروائية وشاعرة ومترجمة وأستاذة جامعية مهاجرة، ولدت في التاسع من كانون الأول عام ١٩٤٠، في حي (الروضة) بدمشق لوالدين هما: الطبيب فائق العطار والسيدة مسرة العظم.

تلقت دراستها الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس دمشق، ثم انتسبت إلى قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب بجامعة دمشق، حيث نالت الليسانس في الأدب الإنكليزي عام ١٩٦٢، ثم الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها عام ١٩٦٥، وعملت خلال دراستها اللغة العربية رئيسة لقسم الترجمة في دائرة الأخبار بالإذاعة السورية، وكان لها برنامج يومي بعنوان (افتح النوافذ للشمس) كما أسهمت في برامج ثقافية أخرى.

حصلت عام ١٩٦٥ على منحة دراسية لتحضير شهادة الماجستير في الأدب الإنكليزي من جامعة دلهاوزي في كندا وقد نالتها عام ١٩٦٧ بأطروحة عن تأثير الشاعر ت.س.إليوت في الشاعر المصري صلاح عبد الصبور، ثم حصلت عام ١٩٦٨ على منحة أخرى من جامعة ولاية نيويورك لتحضير شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن، فنالتها عام ١٩٧٣ بأطروحة عن الدخيل في المسرح الحديث.

في عام ١٩٧١ تعرفت إلى زميلها جيرهارد فيشر - وهو من أصل ألماني - الذي كان يحضّر مثلها لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن، فتزوجته وأنجبت منه عام ١٩٨٠ ابنة واحدة أسمتها (لينا) ومنذ عام

١٩٦٨ وهي تتنقل بين جامعات كندا والولايات المتحدة الأميركية والجزائر وألمانيا لتدريس الأدب الإنكليزي، والمسرح العالمي، والأدب المقارن، واللغة العربية، حتى استقر بها المطاف أخيراً في جامعة سدني بأستراليا، حيث عملت رئيسة لقسم الدراسات السامية وأستاذة للغة العربية.

أحبت الدكتورة سمر القراءة منذ صغرها، وكتبت الشعر وهي لم تتجاوز التاسعة من عمرها، وصارت شاعرة المدرسة، وكانت وهي طالبة في جامعة دمشق، تلقي قصائدها وقصصها، وتنشرها أحياناً في مجلات سورية ولبنانية، ولكن للأسف ضاع الكثير من هذه القصص والقصائد، بعد أن غادرت دمشق نهائياً عام ١٩٦٥.. كما اشتركت في أول فرقة للتمثيل ألفها الدكتور رفيق الصبان بعد عودته من باريس في الستينات، وقامت بأدوار مهمة على المسرح والتلفزيون السوري منها الليدي مكبث، وألكترا، والأم كارار لبريخت وغيرها.

آثارها الأدبية

ألفت الدكتورة سمر العطار عدداً من الكتب بالعربية والإنكليزية، وكتبت فصولاً ومقالات في الأدب المقارن، والدراسات اللغوية، والترجمة الأدبية، والدراسات النسوية، والهجرة.. وأجرت مقابلات مع عدد من المفكرين والفنانين العرب أمثال محمود أمين العالم، ورفعت السعيد، وناظم الجعفري، وبسام الطيبي.. ومن أهم كتبها:

١-الدخيل في المسرح الحديث - دار لانغ (فرانكفورت) ١٩٨١.

٢-لينا: لوحة فتاة دمشقية (رواية) دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٢.

٣-البيت في ساحة عرنوس (رواية) منشورات شربل بعيني - أستراليا ١٩٨٨.

٤-خواطر من أسفل العالم (مقالات) منشورات ندى - ملبورن - أستراليا ١٩٩٩.

ولها دراسات أخرى بالإنكليزية عن تأثير حي بن يقظان في الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر، وعن الكاتب الإنكليزي دانيال ديفو في كتابه روبنسون كروزو، والشاعر الفلسطيني راشد حسين، والشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) والكاتب الأسترالي اللبناني الأصل ديفيد معلوف، وأبي حيان التوحيدي وغيرهم، نشرت في كتب ومجلات أدبية في إسبانيا وإنكلترا والولايات المتحدة الأميركية ومصر.

أما في مجال الترجمة إلى اللغة الإنكليزية فلها: رحلة في الليل لصلاح عبد الغفور، ودراسات منها مفهوم النفس عند الشاعرة العربية عبر العصور، ورحلة اكتشاف للنفس عند الآخر: فدوى طوقان في إنكلترا في الستينات.. كما ألقت عدة محاضرات في مختلف الجامعات الأميركية والكندية والإسبانية والألمانية والمصرية، منها: هارفارد، بيل، شيكاغو، آن آربر ميتشغان، تورنتو، قرطبة، برلين، القاهرة.

١ - لينا: لوحة فتاة دمشقية:

هـذه الـرواية كـناية عن مجموعة مشاهد لفتاة دمشقية، رصدت فيها حياتها منذ طفولـتها حتـى نهايـة دراسـتها الجامعية، وانـتقدت فيها البيئة الدمشقية وما حولها، أي مديـنة دمـشق وريفهـا، فوصـفت بـيوتها وشـوارعها ودكاكيـنها وباعتها.. وقد صبغت هذه المشاهد بصبغة تشاؤمية قاتمة.

لقـد اسـتطاعت المـؤلفة من خلال بطلتها (لينا) التي تمثل غربة الفتاة الطموحة، أن تفـضح العقلـية الـشرقية فـي المجتمع الدمشقي، وسيطرة هذه العقلية المحافظة على العـادات والتقالـيد، وتنعت دمشق بأنها مدينة دون أشجار، ودون حدائق، ودون عصافير.

وتؤكد الدكتورة هيام ضويحي، أن هذه الرواية ليست أكثر من "تجميع لمشاهد التزمت فـيها المـؤلفة التسلسل الزمني، دون وجود حـبكة سردية معينة، وقد استعملت فيها عدة أسـاليب كالمذكـرات والرسـائل والحوارات والـسرد المباشر والوصف والتفنيد الانتقادي، ناهـيك عن تصوير الذكريات والأحلام والتطلع إلـى الغـد وغير ذلك مما هو مرصوف بعضه إلى بعض".

أما موقفها من المرأة فيمكن تلخيصه بمـا يلـي: لينا تتمرد على الوضع الذي كانت علـيه المـرأة السورية وقتئذ، ومعاناتها من الجهـل والخـضوع للـرجل، والانصراف إلى البيت وإنجاب الأطفال. أما الزوج فكانت تريده لينا أن يكون بالنسبة للمرأة رفيقاً لا سيداً ولا عـبداً، شـريكاً لا مالكـاً ولا مملـوكاً، وفي اعـتقادها أيضاً أن حب المرأة للرجل لا يعني فقدان الذات بل تأكيدها، وبعبارة أخرى لا يعني ضـياع إنـسانيتها، بل تحقيق ذاتها، كما أنها هاجمت ظاهرة الحجاب الذي لم يكن في نظرها إلاّ مجـرد سـتار تخفـي المرأة خلفه سلوكاً أخلاقـياً يتنافى مع القواعد الاجتماعية، فمثلاً أنها كانت تجد سيدات محجبات، يقمن علاقات مـشبوهة مـع بائـع الخضار العجوز كما في قولها: "وكثيراً ما سمعت الخادمات يتوشوشن حـول علاقات الرجل العجوز بسيدات محجّبات يأتين لزيارته ليلاً على قارعة الرصيف".

كمـا أنها تقول ما مفاده: "إن الفتاة لا مـستقبل لها سواء تعلمت أو لم تتعلم. ولماذا تـتعلم؟ طالما أن دورها يجب أن يقتصر على الزواج والإنجاب.

أما المرأة التي تخرج إلى العمل فهي فـي نظـرها طبعاً تبذل مجهوداً مضاعفاً بين البيت والعمل. وبرأي لينا: "أن المرأة هي التي اخـتارت هذا الواقع فلتتحمل النتيجة". إضافة إلـى ذلـك تشير إلى أن "الوالدين كانا يدفعان بـناتهما للـزواج خشية أن لا يجدن زوجاً بعد سـن العـشرين. كما أن مهمة اختيار الزوج كانت على الأهل، وليست على البنت التي تظل مقهورة الإرادة لا تستطيع أن ترفض ما اختير لها".

وتـضيف الدكـتورة ضـويحي قائلة: "وبخصوص الجنس نراها تتحدث عن (البكارة) وأنهـا في المجتمع الشرقي سبب لأشكال من العـنف، فـي الـوقت الذي يفتخر فيه الرجل برجولته، وبقدرته على مضاجعة أكبر عدد من النـساء، فعلـى المرأة صون عذريتها والتزام آدابهـا. ثم تروي قصة عن فتاة شنقت نفسها لـيلة عرسها، مخافة أن يفتضح أمرها. لأنها تعـرف أن الجريمة هي جريمتها، وأنها ميتة

علــى كل حال. أما الجاني – أي الرجل – فلا يدري به أحد. وهكذا كان الخوف يوقع المرأة فــي دوامــات الكبت والحرمان، والمجتمع لا ينظــر إلى الجنس كحاجة يتساوى فيها الرجل مــع المــرأة، بل يمارس ضغوطاً على المرأة يــضاعف فــي شقائها. إن الأحاديث الجنسية تجــرح عفتها، أو إن قراءتها للكتب الغرامية وما شابه جريمة تستحق العقاب. ولا يخفى أن هذه النظرات فيها مغالاة وتشاؤم.

وتعــتقد الدكــتورة ضــويحي أخيــراً "أن ليــنا لا تمــثل الفــتاة الدمشقية العصرية، رغــم أن الــرواية تقــف تقــريباً عــند عهد الــوحدة بين سورية ومصر، وتتمنى التوفيق والــنجاح للمواطنــين دون مقابــل، فالمرحلة الــزمنية التي تتحدث عنها المؤلفة هي مرحلة انتــشر فــيها الوعــي، والــثقافة والــتطور الاجتماعي".

أما الدكتورة فاطمة موسى محمود فقد رأت أن روايــة لينا (لوحة فتاة دمشقية) مبنية على نموذج جيمس جويس في روايته (صورة الفــنان فــي شبابه) التي نشرها عام ١٩١٦ وصــوّر فــيها نزوح ورحلة البطلة في مدينة مــزقتها الخلافــات الــسياسية والــصراع الاجتماعــي، إلى حرية الغربة بنفس العبارات المستخدمة في وصف خروج ستيفن ديدا لوس من إيرلندا.

٢ – البيت في ساحة عرنوس:

ليــست هذه الرواية إلاّ مجرد ذكريات دمــشقية حمــيمة عــن البيت الذي بناه والد الكاتــبة فــي ساحة عرنوس بدمشق، قبل أن تطوحها الأسفار في شتى أصقاع العالم البعيدة فــي كندا والجزائر وألمانيا، والولايات المتحدة الأميركية، حتى استقر بها المطاف في سيدني بأستراليا.

قــسمت الدكتورة العطار روايتها إلى ستة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن بيتها الدمــشقي الأول، وفــي الفصول الثلاثة التالية عن أختيها (بهية وريما ومربيتها فطوم). وفي الفــصل الخامس عن الليلة الأخيرة فيه. وفي الفــصل السادس عن نهاية العالم، وهي قصة كتــبها الكاتــب السويــسري (روبرت فالزر) للأطفــال عن طفلة مقطوعة من شجرة، لا أب لها، ولا أم، ولا أخ، ولا أخت.. خطر لها ذات يــوم أن تــركض وتــركض حتــى تجد نهاية العالم.. لكن نهاية العالم بدت مستحيلة.. فهي مــثل بطلتها مشردة، ولم يبقَ لها وطن لتعود إلــيه بعــد هــذه الغــربة الطويلة التي امتدت عــشرين عامــاً، ولــذلك تسألها أختها وهي تــودعها في المطار: "ألا يهمك إذاً إذا ما بعنا بيتنا في ساحة عرنوس؟".

مــا يــؤخذ على هذه الرواية الجميلة والمؤثرة هو استخدام اللهجة العامية الدمشقية بكثرة في السرد، وقد يكون للمؤلفة عذرها هو إحــساسها بأنها لم تزل تعيش في دمشق رغم الــبعد، ولــم ترحل عنها بأفكارها وقلبها وإن رحلت عنها بجسمها.. ولا يستبعد أن تكون قد تأثــرت فــيها بــرواية (البيت الشامي الكبير) للدكتور كاظم الداغستاني.

٣– خواطر من أسفل العالم:

ضم كتاب (خواطر من أسفل العالم) – والمقصود بأسفل العالم أستراليا – ثلاث عشرة مقالــة أو خاطرة، كانت قد نشرتها في صحف عربية وأسترالية منذ ثمانينيات القرن العشرين

مثل (الوفاق) لكامل المر، و(النهار) لبطرس عنداري، و(صدى لبنان) لجوزيف بو ملحم، و(التلغراف) لأنطوان قزي التي لا تزالُ تصدر حتى الآن، إضافة إلى بعض الكلمات التي ألقيت بمناسبة يوم المرأة العالمي، وبمناسبة توزيع جائزة جبران العالمية في مدينة (غرانفيل) وفي رابطة إحياء التراث العربي في سدني، وفي ذكرى وفاة فؤاد نمور وغيرها.

من هذه المقالات: ماذا تفعلين في أسفل العالم، كيف يكتب التاريخ من لا يعرف تاريخه؟ أنت متهم حتى تثبت العكس، عبد الله البصروي وكتابه الذي أحرق في دمشق في القرن الثاني عشر، كيف ترى المرأة العربية نفسها؟ المؤتمر الدولي الثاني للمرأة العربية في القاهرة، الجائزة التي لا تستعبد أحداً، نهاية العالم، كرموا من يكرم لغتكم.

لقد كانت مقالات الدكتورة سمر العطار في هذا الكتاب جريئة وصريحة وواقعية وعفوية، مما جعلها تقف بجدارة إلى جانب الدكتورة نوال السعداوي، وفاطمة المرنيسي، وكوليت الخوري، وغادة السمان، وإقبال بركة، وفاطمة يوسف العلي، وليلى العثمان، وأحلام مستغانمي، وغيرهن من الأديبات العربيات المتنورات والمنوِّرات اللواتي سعين في كتاباتهن إلى تغيير بنية المجتمع العربي، وأحوال المرأة المقموعة فيه.

لقد انصبت كتابات الدكتورة سمر العطار سواء في روايتيها المذكورتين أو في مقالاتها على ما تعاني المرأة العربية من قهر وظلم وقمع وهيمنة وتحدٍّ ليس من الرجل فحسب، بل من المجتمع المحافظ الذي عمل على تكبيلها حتى شل حركتها، وأخرس لسانها، وكم فمها.. فهي تأسى في مقالها "كيف ترى المرأة العربية نفسها" على ولادة الطفلة العربية في أي عاصمة عربية وكيف" تُستقبل غالباً بالنواح، وتُعزى أمها، وأن تُعيَّر بأنها تلد البنات، ويلح الجميع على الأم المسكينة بأن تجرب حظها مرة ثانية وثالثة، حتى يأتي الذكر السعيد!".

وتأسف أشد الأسف على "أن الفكر العربي المعاصر، وخاصة في مفهومه للأنوثة، ومعنى تحرر المرأة، مازال واقعاً تحت تأثير الفكر التقليدي، وأن امرأة كشهرزاد التي ظهرت في القرن التاسع الميلادي، لاتزال حية بيننا في القرن العشرين، فمواهبها النادرة لم يسمح لها بأن تظهر علناً للناس، أو تستغل في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية خارج بيتها، بل إن إمكاناتها كلها موجهة نحو تسلية زوجها وخدمته، وهي امرأ تخضع لرجلها جنسياً..".

أما عن نظرتها إلى الدين فتقول: "إن الدين لا يزال يلعب دوراً كبيراً في حياة بعض الناس، وإنه يمنعهم من التفكير السليم".

بهذا الأسلوب الجريء والحر والمنفتح، عبرت الدكتورة سمر العطار عن آرائها وأفكارها، وهي لا شك آراء وأفكار ناضجة وسديدة، نابعة من ثقافتها وقناعتها بضرورة تحرير المرأة، وتطوير المجتمع العربي الراكد الذي زرع الأشواك في دربها، واعتبرها خارجة عن المألوف الذي درج عليه الآباء والأجداد، فطارت بجناحيها الطليقين إلى بلاد الله الواسعة لتحقق طموحاتها، وتنال حريتها خارج السرب.




لولا تمردنا..

شعر الدكتور: رضا رجب

للـــــشِّعرِ في الأرض الخلـــودُ
مـــا هـــمَ تهـــدأ أو تَمـــيدُ
ولـــنحنُ ســـادتُها الكـــرا
مُ وإنْ تطاولـــتِ العبـــيدُ
في جـــيدها كلماتُـــنا
دُرَرٌ وياقـــوتٌ نـــضيدُ
وإذا رنـــتْ وتلفَّـــتتْ
فحـــروفُها عـــينٌ وجـــيدُ
ولـــنحنُ طُـــلاَّعُ الثَّـــنا
يـــا حـــينَ تحتـــشدُ الحـــشودُ
ولـــنحنُ حُـــرَّاسُ الحـــدو
دِ فكـــيفَ تُقـــتَحَمُ الحـــدودُ
وحـــروفُنا في غُـــرَّةِ الـــ
أوانِ في الجُلَّـــى بُـــنودُ
سِـــيَّانِ فـــيها الـــشَّاعرُ الـــ
غـــرِّيدُ والـــبطلُ الـــشَّهيدُ
حبْـــرُ القـــصيدةِ كالـــدَّمِ الـــ
قانـــي وأحـــرفُها الـــوريدُ
في كُـــلِّ حـــرفٍ مـــارجٌ
عـــن كبْـــرِهِ الـــسَّامي يـــذودُ







دمُـــنا عـــــصافيرٌ مـــــسا
فـــرةٌ وأدمُعُـــــنا نـــــشيدُ

ولـــــنحنُ وعـــــدُ العاشـــقيـ
ـــــنَ وللمُغيريـــــنَ الوعـــــيدُ

وبـــــنا يتـــيهُ الحاضـــرُ الـــ
ـمـــيمونُ والماضـــي التَّلـــيدُ

وعلـــــى صـــخورِ إبائـــنا الـــ
ـــصمَّاءِ تنكـــسرُ القـــيودُ

ولـــــنحنُ في المـــشتاةِ أجـــ
ـــــوادٌ وفي الجُلَّـــــى أســـــودُ

ولـــــنحنُ في غـــــيمِ الحـــضا
راتِ الـــبوارقُ والـــرُّعودُ

لـــولا تمـــرُّدنا علـــــى الـــ
ـموجـــودِ مـــا حلـــيَ الوجـــودُ

هـــيهاتَ يُنْـــصِفُنا المهـــرِّ
جُ والمُـــنافقُ والحقـــودُ

يـــا وارثـــاً كـــبرَ الجـــدو
دِ إذا تكلَّمـــتِ الجـــدودُ

لـــك في عمـــوِ الـــشِّعر مـــا
يـــزهو بأحـــرُفِهِ العمـــودُ

أكـــبرتَ مـــا ابـــتدعَ القـــديـ
ـــمُ وعـــندكَ الأنَـــقُ الجديـــدُ

مَـــنْ غـــاصَ في الأعمـــاقِ لا
حَ لعينـــيهِ العِقـــدُ الفـــريدُ

وتـــبرَّجتْ لعـــــناقهِ
شـــقراءُ ســـكرى الـــدلِّ رُودُ







وتحلَّـــبتْ ظمـــأً لمـــو
عِـــدِهِ المراشــفُ والخـــدودُ
وتأنَّقـــتْ لـــتكونَ أحـــ
ـلـــى حـــينَ تحـــضنُهُ الـــنُّهودُ

يـــا شـــاعراً جـــاز الألى
مـــا الـــبحتريُّ ومـــا لبـــيدُ؟
أنـــتَ الجديـــرُ بكـــلِّ مـــا
أُعطـــيتَ ولْـــيَمُتِ الحَـــسودُ
في شـــعرِكَ الـــنَّهجُ القـــويـ
ـــمُ وفـــيهِ مـــنطِقُكَ الـــسَّديدُ
وبـــهِ أناتُـــك والـــرَّوِيّـ
ـــةُ والـــتَّفوُّقُ والـــصُّعودُ
وبـــه الـــنَّدى والأريحـــيَّـ
ـــةُ والعلـــى كـــرمٌ وجـــودُ
الـــشِّعرُ ثـــروتُكَ الوحـــيـ
ـــدةُ بـــل وشـــاهدُكَ الوحـــيدُ
وتفـــوقُ مـــن رامَ المـــدى
فـــيما تُجـــوِّدُ أو تجـــودُ
وإذا هـــتفْتَ تـــرنَّحتْ
ربَّـــاتُ عبقـــرَ تـــستعيدُ
وبـــراءةُ الأطفـــالِ تـــر
سُـــمُها قوافـــيكَ الـــشَّرودُ
لـــكَ في القـــصيدِ مكانـــةٌ
مـــن حـــسنها غـــارَ القـــصيدُ





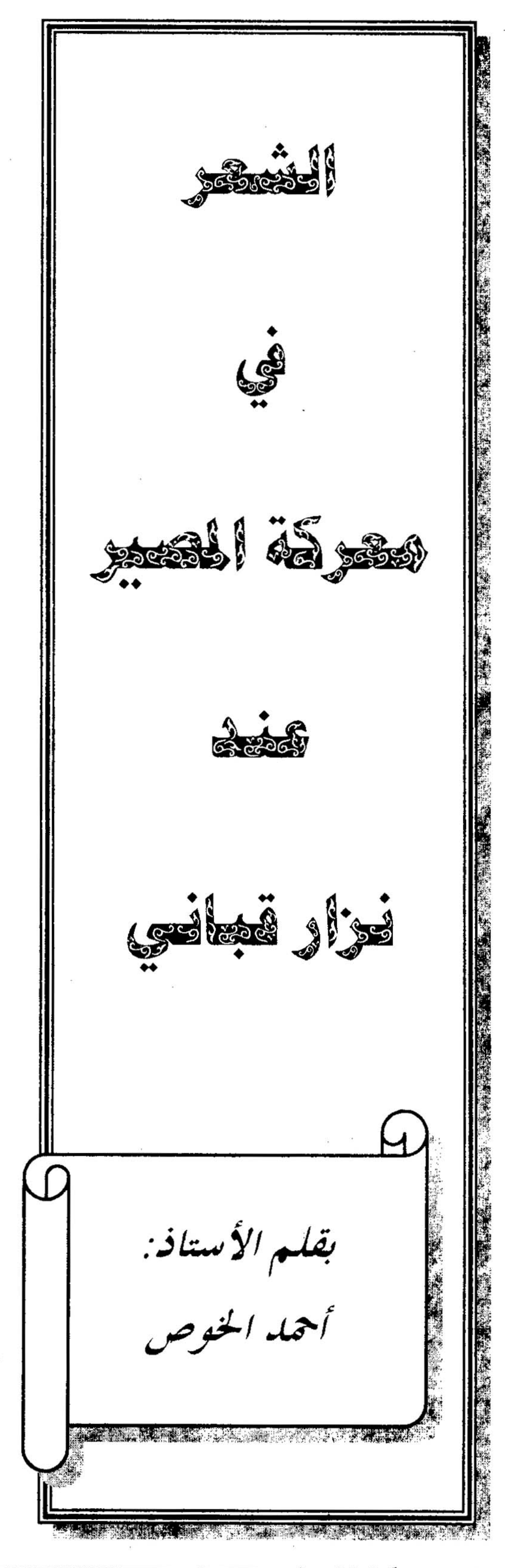


وبـــناتُ شِـــعرِكَ شـــاهدٌ
ثـــبتٌ إذا عـــزَّ الـــشُّهودُ
الدّانـــياتُ لمـــن تـــوهَّـ
ـمهـــا ومطلـــبُها بعـــيدُ
مـــن لـــيسَ يأســرُهُ الجمـــا
لُ فـــلا يـــشيدُ ولا يـــسودُ

* * *

عـــبدَ المجـــيدِ حـــباكَ بـــالـ
ـــنَّعماءِ ذو العـــرشِ المجـــيدُ
مالـــي ومـــا للـــشاتميـ
ـــنَ وهـــم لكـــلِّ أذىً جُـــنودُ؟
لا مـــنطقٌ يـــروي جـــوا
نحَهـــم ولا خلـــقٌ يـــشيدُ
حكمـــتْ ذواتَهـــمُ المـــنا
فـــعُ والـــدَّراهمُ والـــنُّقودُ
والعـــبدُ حـــين يـــسود في الـــ
أحـــرارِ جـــبّارٌ عنـــيدُ
عـــبدَ المجـــيدِ ومـــا أنـــا
يـــوماً لـــنعماءٍ كـــنودُ
يُملـــي الـــوفاءُ علـــيَّ أنْ
أُطـــريكَ والدُّنـــيا عهـــودُ
لـــكَ مـــن بيانـــي وهـــو معـ
ـــسولُ الـــسَّريرةِ مـــا تـــريدُ
ولأنـــتَ للفـــصحى ومَـــنْ
هامـــوا بهـــا نعْـــمَ العمـــيدُ



ليست الكلمة بمعزل عمّا يجري في الأرض العربية من أحداث وويلات، أو من مصائب وكوارث، فالحرف منذ أن قال الله تعالى لنبيّه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١] مازال يأخذ دوره في حياة المجتمع على الرغم من كل الذين يحاربونه وبمختلف قواهم المادية والمعنوية والشعرية.

وأمتنا العربية التي هزّتها الأحداث في عصرنا الحديث، وأصابتها الويلات من الاستعمار البريطاني والفرنسي ثم الاستيطان الصهيوني لفلسطين من بعد، لا شكّ أن ما جرى وما كتب وما قيل كان له أكبر الأثر على توجيه الأحداث العربية بمختلف الصعد.

وبحثنا اليوم عن دور الكلمة في المعركة عند الشاعر نزار قباني، هذا الإنسان الذي كان شاعر حب جوّال تعرفه كل الشرفات، واحدة في ثوب أحمر، وواحدة في ثوب أخضر، هذا الشاعر الذي ظنّه الناس أنه لا يبالي بما يصيب أمته، وأبعد ما يكون عمّا يدور حولها من أحداث. إلاّ أن الحقيقة أصبحت عكس ذلك، فالشاعر نزار حوّلته النكبة بلحظة من شاعر حب وحنين إلى شاعر يكتب بالسكين.

فما هي هذه السكين التي كتب بها نزار؟ وما نوع الحرف الذي ذبح به الآخرين؟ ولمصلحة من كتب هذا أو ذاك؟

تلك أسئلة ترددت في ذاكرتي منذ فترة من الزمن.

ولا شكّ أن تحرير الشعب هدف كل أديب أو شاعر أو مفكّر يريد أن يخلّص شعبه من التخلف والجهل والغزو الفكري والحضاري لأنّ مميزات الشعب هي الشعب ذاته، يقول نزار قباني في قصيدة «حوار مع عربي أضاع فرسه»:

ما زلنا منذ القرن السابع نأكُلُ ألياف الكلِمَاتْ
نتزحلقُ في صَمْغ الراءاتْ
نتدحرجُ من أعلى الهَاءَاتْ
وننامُ على هجوِ جريرٍ..
ونُفيقُ على دمع الخَنْسَاءْ..
ونقرأ (أخبارَ النُدَماءْ)..

إلى أن يقول:

يا بَلَدي الطيِّبَ يا بَلَدي..
الكِلْمَةُ كانَتْ عُصْفُوراً
وجَعَلْنَا منها سُوقَ بَغَاءْ..

ولم يكن نزار قباني لينسى انتصار العرب على العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حين هزمت قوى هذا العدوان المتمثل ببريطانية «العظمى» وفرنسا «الأم الحنون» وإسرائيل «ربيبة الاستعمار» بل لنقل إن الاستعمار هو «ربيب إسرائيل» ، يقول في إحدى رسائله من قصيدة «رسالة جندي في جبهة السويس»:

هذي الرسالةُ، يا أبي، من بور سعيدْ
مِنْ حيث تمتزجُ البطولةُ بالجراح وبالحديدْ
مِنْ مصنعِ الأبطال أكتُبُ يا أبي..
مِنْ بور سعيدْ..

وكيف لا يعزي هذا الشاعر كل الكتب التي تمجد الماضي وتفخر به؟

وكيف لا ينسى الكلمات والمفردات والألفاظ التي كانت أحد عوامل الهزيمة؟ حيث يقول في قصيدة «هوامش على دفتر النكسة»:

لا تَلْعَنُوا السَمَاءْ
إذا تخلَّتْ عنكُمُ
لا تَلْعَنُوا الظُروفْ
فاللهُ يُؤتي النَصْرَ من يشاءْ
وليسَ حدَّاداً لديكُمْ..
يَصْنَعُ السُيُوفْ..

ولا يستغرب الشاعر أن يهزم العرب لأن أكثرهم بل لنقل: إن كل واحد منهم

«عنتــر» بذاتــه، بتصرفاته، بعنجهيته، حيث يقول في القصيدة نفسها:

نركُضُ في الشوارعِ
نحملُ تحت إبْطِنا الحِبَالا
نمارسُ السَحْلَ بلا تبصُّرٍ
نُحطِّمُ الزجاجَ والأقْفالا
نمدحُ كالضفادعِ
نَشْتُمُ كالضفادعِ
نجعلُ من أقزامنا أبطالا
نجعلُ من أَشرافنا أنْذَالا
نرتجلُ البطولةَ ارتجالا
نقعدُ في الجوامعِ
تنابلاً، كُسَالى
نُشَطِّرُ الأبياتَ، أو نؤلِّفُ الأمْثَالا
ونشحذُ النصرْ على عدوِّنا
من عندِهِ تعالَى...

ونزار عندما يحارب الكلمة القديمة لا يحاربهــا لأنهــا كلمــة، فالكلمة مقدسة وإنما يحــارب مــضمونها الرجعي الذي فيه التخلف والانحطــاط ونحــن عليــنا أن نعــيش القرن العــشرين بمفاهــيمه الحضارية والتقنية لذلك دعــا أن نقــرأ الكــتب، ونطّلــع على الثقافة، ونزرع حروف العزة والكرامة، ونبذر الرحمة والإنسانية أينما وجدنا:

يا أصدقائي:
جَرِّبُوا أن تقرأوا كِتَابْ..
أن تكتبُوا كتابْ..
أن تزرعُوا الحُرُوفَ..
والرُمَّانَ..
والأعْنَابْ..

وعــندما يدعــو الــشاعر إلى قراءة الكــتاب وكتابة الحروف وتقديس المعنى، إنما ينــشد ذلــك لأنــه مؤمن بحرية الفكر، بحرية الإنسان، الحرية التي يحاربها الطغاة، ويقاتلها الجبارون كما يحاربون الجرائم، يقول نزار في قصيدة «الممثلون»:

حينَ يصيرُ الحَرْفُ في مدينةٍ
حَشيشَةً يمنعها القَانُونْ
ويصبحُ التفكيرُ
كالبَغَاءِ..
واللُّواطِ..
والأفيونْ..
جريمةً يطالُها القَانُونْ..

ولــم يــدع إلى ذلك إلاَّ ليضع الأمور بموازيــنها الحقيقــية ومفاهيمها الواقعية التي تطور الفرد، وتنمي فيه روح الإبداع والتجديد بعــد أن كــان يمــضغ القصائد والحروف منذ عــشرين عامــاً، يقــول نــزار فــي قصيدة «الاستجواب»:

أُجَلْدُ كلَّ جُمْعَةٍ بخُطْبَةٍ غرَّاءْ
أبتلعُ البيانَ..
والبديعَ..
والقصائدَ العصماءْ..
أبتلعُ الهُرَاءْ..
عشرينَ عاماً.. وأنا يا سادتي
أسكُنُ في طاحونةٍ
ما طَحَنَتْ قطُّ سوى الهواءْ..

وهكذا نرى أن الشاعر الذي غيّر حرفه، وجعله في معركة التحرير أكثر منه إلى امرأة يغازلها، أو فتاة يبادلها الحب والعواطف، إنما فعل ذلك من أجل معركة البقاء التي بدايتها معركة التحرير، يقول نزار في قصيدة «رسالة جندي في جبهة السويس»:

ليَخُطَّ حرفاً واحداً..
حَرْفاً بمعركة البقاءْ..

ونحن نعتقد أن نزار قباني قد دخل التاريخ المعاصر بهذا المفهوم الجريء الذي يحارب فيه الأوضاع الفاسدة والمناصب الزائلة التي لا تدوم، إنما فتح بذلك فتحاً جديداً للجماهير التي عشقت حرفه وتغزلت بكلماته الموسيقية الناعمة، وعلى الرغم من هذا العشق ومن تلك النعومة فقد تشكل منهما معاً الحرف الجديد، الحرف الذي ذبح الألفاظ القديمة من أجل مستقبل مشرق، فيقول في قصيدة «حوار مع عربي أضاع فرسه»:

وجَلَدْتُ الهَمْزَةَ في لغتي..
وجَلَدْتُ الياءْ..
وذبحتُ (السينَ).. و (سوفَ)..
و (تاءَ التأنيث) البلْهاءْ..
والزُخْرُفَ.. والخَطَّ الكوفيَّ..
وكُلَّ ألاعيب البُلَغاءْ
وكَنَسْتُ غُبارَ فصاحتنا
وجميعَ قصائدنا العصماءْ..
يا بَلَدي..
كيف يموتُ الخَيْلُ
ولا يبقى إلاَّ الشُعَرَاءْ؟؟

هذه هي بعض ملامح معركة المصير في شعر نزار قباني الذي كان سيفه مصلتاً على الأوضاع الفاسدة وعلى القضايا القومية التي شغلت الأمة العربية جمعاء من المحيط إلى الخليج ومن الفرد إلى المجتمع ومن الفقير إلى الغني فدخل الجميع في أتون الثورة لتتطور الحياة وتنمو الثقافة ولا سيما أن مبضع نزار قد استأصل العفن والخمول والجهل والكسل لنشر الحرية والغنى والديمقراطية والتقدم في مجتمعه.




سيد المقاومة..

شعر: أ. جابر خير بك

يـا صـانعَ النـصرِ مرحـى يـا أبـا "هـادي"
فالعمـــرُ وقفـــةُ عـــزٍّ قالهـــا الفـــادي

وقـــيمةُ المـــرءِ لا تـــسمو مـــواقفُها
إلاّ إذا ضـــمّها محـــرابُ زهّـــاد

فللـــشهادةِ مجـــدٌ لا يعادلـــهُ
مجـــدُ الـــسلاطين في عـــرشٍ وأبـــراد

هـــذي العمامـــةُ نالـــتْ عـــند خالقـــنا
تـــاجَ الخلـــودِ وفاقـــتْ كـــلَّ أمجـــاد

وحققـــتْ ذاتهـــا دنـــيا ومعـــتقداً
في عـــين مَـــنْ آمـــنوا بالـــواحد الهـــادي

وزيّـــنتْ عـــصرَنا بالمكـــرمات كمـــا
زانـــتْ جـــديبَ الفـــيافي بعـــضُ أوراد

فأنـــتَ أوحـــدُ هـــذا العـــصرِ إنْ كتـــبوا
عـــن الـــرجال وعـــن صـــيدٍ وأســـياد







خلَقْتَ جيلاً من الفرسان ما عرفوا
إلاَّ تواصلَ تاريخٍ وأبعاد
ساروا على الدرب إيماناً وما حملوا
إلاَّ الرجولةَ من ماءٍ ومن زاد
ضحَّيت بالولد الأغلى فدى وطنٍ
وكان رائد أشبالٍ وآساد
علمتنا الحبَّ لكنْ إنْ دعتْ نوبٌ
فلا تضنٌّ بأفلاذٍ وأكباد
ولا تنامُ على ضيمٍ ونازلةٍ
فالموت إن ردَّ غدراً خيرُ ميلاد

* * *

يا حاملَ الرايةِ الشماءِ ما شمختْ
إلاَّ بإسمكَ فوقَ السفح والوادي
لولاك ظلَّتْ أماني العُرْبِ يابسةً
تبكي على الأمس دمعاً غيرَ نفَّاد
وتستجيرُ ولكنْ لا مجيرَ لها..
من عُهْرِ طاغيةٍ أو بطشِ أوغاد
تمكَّنوا من رقابِ الناسِ وامتثلوا
للمارقين وعاشوا بين أحقاد
باعوا بلا خجلٍ تاريخَنا فغدا
ذكرى أحاديثَ عن أيَّام روَّاد







وهادنوا الغاصبَ الطاغي وما حصدوا
إلاَّ الأسى تحت أغلالٍ وأصفاد

وقطَّعوا العمر لهواً صارخاً ومضوا
خلف الملذَّاتِ من نادٍ إلى نادي

ناموا طويلاً عن الجلَّى ومحنتها
وكمّوّ أفواه كتَّابٍ ونُقّاد

ومزقوا صلةَ القربى وحرمتَها
وما رعوا حلمَ أجدادٍ وأحفاد

تحكَّموا بمصير الشعب أزمنةً
وقاسموا جَهْدَ زُرّاعٍ وحصَّاد

وأشبعونا خطاباتٍ منمقةً
تواصلتْ بين هدّارٍ ورعَّاد

وما حصدنا سوى وعدٍ بلا ثمرٍ
وحيرةٍ بين نَخَّاسٍ وقوَّاد

فكيف تغفرُ هذا العارَ حاضرةٌ
كانتْ حديثَ فتوحاتٍ وأعياد

أعطتْ إلى كلِّ أصقاعِ الدنا قيماً
عاشتْ أناشيدَ أجيالٍ وآباد

فحوَّلوها دُمىً تلهو بها أممٌ
كلعبةٍ بين أولادٍ وأولاد

باتتْ تعيش على الذكرى ممزقةً
مشلولةً بين سفَّاحٍ وجلاَّد

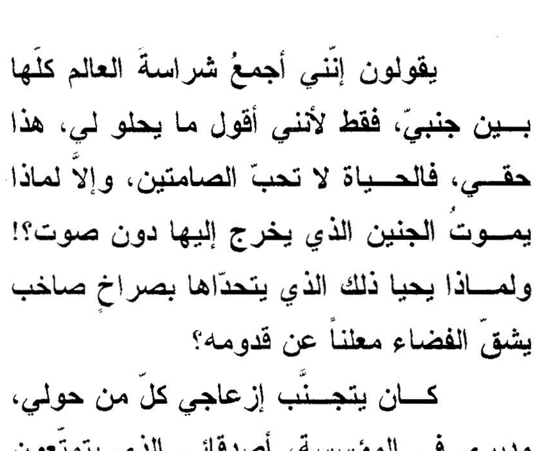






حتى طلعتَ فلاحتْ خيرُ بارقةٍ
تُعيدُ أحلامَ رقَّادٍ وسهَّاد
ناداك من غابر التاريخ مَن رَحلوا
ومَنْ قضوا فوق صلبانٍ وأعواد
أتيتَ بعد يباس العمر فانتفضتْ
في كلِّ لحدٍ ضحايا أمةِ الضاد
فامسحْ بكفك سيلاً من مدامعنا
فاضتْ على أمة ثكلى وأجناد
هذي البطولات شَقَّتْ للعلا طرقا
أرضتْ خواطر آباءٍ وأجداد
داست غرورَ غزاةِ الدارِ وانتصبتْ
تحزُّ بالسيف عُنقَ الغاصبِ العادي
أسطورة البغي داستها عمالِقةٌ
من الصناديد في ساحٍ وميعاد
فرَّتْ وذاقتْ كؤوسَ الموتِ مترعةً
من كفٍّ من كان للغازي بمرصاد
طوبى لمن يحرس المولى مسيرتَه
ليرتقي عرش زُهَّادٍ وعُبَّاد
أغناك بالعلم والإيمان واتسعت
دنيا الجهاد بلا كفرٍ وإلحاد
فمن سواك جديرٌ في زعامتها
فاسلمْ فدتك دمانا يا أبا (هادي)



قصة

للقصة بقية

بقلم الأستاذة:
عبير كامل إسماعيل

يقولون إنّني أجمعُ شراسةَ العالم كلّها بـين جنبيّ، فقط لأنني أقول ما يحلو لي، هذا حقـي، فالحـياة لا تحبّ الصامتين، وإلاّ لماذا يمـوتُ الجنين الذي يخرج إليها دون صوت؟! ولمـاذا يحيا ذلك الذي يتحدّاها بصراخٍ صاخب يشقّ الفضاء معلناً عن قدومه؟

كـان يتجـنَّب إزعاجي كلّ من حولي، مديري في المؤسسة، أصدقائي الذي يتمتّعون بروح السخرية والفكاهة، وحتى أقربائي الذين يحـبّون الغمـز واللمـز، فـردودي جارحـةٌ ومفحمة، والتسامح عندما يتجاوز الأمر حدوده لا موضـع قدمٍ له في صدري، فهو في عُرفي ليس إلاّ خطوةً أولى في خطة هروبٍ مهذبة.

أخيراً اكتشفْتُ أنّ العيبَ ليس في علوّ صـوتي وإنّمـا الصمت يجعل كلّ همسٍ يبدو هديـراً، والغـرابة ليـسَتْ فـي تكبّري، لكنّ الانحـناءَ الـدائم يجعـلَ النّاظرَ يرى الغرسةَ الصغيرة شجرةً باسقة.

ربّما كان المحيطون بي لا يحبّون تلك الـصفات فـيّ، لكـنّهم تجنّباً لجرأتي وعنادي وطَرْقـي لكـلّ الأبواب بإلحاحٍ كانوا يداورونني ويحاولون تلبيةَ ما أريد، وتفادي إيذائي، وهذا لم يكن يزعجني، فأنا ما طلبت يوماً غير حقي، وما اجترأْتُ إلاّ على كلّ من سلبني إيّاه.

كـنْتُ أحسّ بأنّه لا ينقصني شيءٌ في هـذه الحـياة إلى أن اكتشفْتُ أنّني "لم أر حلماً واحداً في حياتي".

مـا أسـوأ الليالي التي تمرّ متشابهةً سـوداء لا تنبئُ بشيء، ولا تفصح عن خبر، (حتى الليل بلا ناس ما بينداس).

ما أجملَ زوارَ الأحلامِ، وأحلى ثرثراتهم، لم يزرْني طيفٌ في نومي قط، ولا حلمْتُ بشيء.

كان أوّل سؤالٍ يتبادر إلى ذهني عندما أرى أحداً من أصدقائي أو معارفي: "ما الحلم الذي شاهدته الليلة الفائتة؟".

وعندما يبدؤون بسرد أحلامهم كنْتُ أغمض عينيَّ وأعمل خيالي لأضع نفسي مكان الحالم، وأنا أحسده على نعمةٍ لا يحسّ بها، لا لشيء إلاّ لأنّها موجودةٌ بين يديه.

حاولْتُ مرّةً أن استجلبَ الحلم، فأتْخَمْتُ معدتي بالطّعام ونمْتُ، ولكنّني استيقظْتُ في منتصفِ اللّيلِ وأفرغْتُ كلّ ما في جوفي وأنا ألعنُ صاحبَ النصيحة.

سرد لي أخي ذاتَ ليلةٍ كيف حلم بأنّ أستاذ الجامعة صحا ضميرُه فجأةً فتراجعَ عن قراره ووضع اسمه بين الناجحين متغاضياً عن رفضه للمساومة التي جرَتْ بينهما وعن رفض أخي تقديم الهدية التي طلب.

وحكَتْ لي أختي عن زوجها الذي حلمَتْ بأنّه كفَّ عن إهانتها وأنّه عاد عن طلاقه التعسّفيّ ورجع إليها مستغفراً باكياً حتى أنّه ركع عند قدميها وبكى دون جدوى.

وروَتْ لي أمي وإحساسُ الذنب يكتنفُها، كيف جاءَ أبي المتوفّى، جاء في الحلم ليأخذها معه، فرفضَتْ متذرعةً بأنّ الجنّة ملأى بالحور العين اللواتي سيلتففْنَ حوله، وهي يكفيها ثلاث ضرائر في الدنيا.

أمّا زميلي في العمل فقد حدّثني عن إشباعه المديرَ ضرباً بعد أن حذفَ اسمَهُ من إحدى البعثات التأهيليّةِ ليضعَ اسمَ أحد أقاربه.

حكاياتٌ وحكايات.. عالمٌ آخر، الأحداثُ كلّها فيه مقلوبةٌ، المقتولُ يتحوّلُ إلى قاتل، والضحية إلى جلاّد، يستردّ كلّ واحدٍ حقه وتُفَكُّ عقدة الألسن الخائفة، فتنطلق من عقالها لتقولَ ما تريد، لتسرد الحقائق فقط.

إذا كان الناس يحملون في قلوبهم كلَ هذه الثّورات ويخفون في بواطنهم كلّ هذه الأحاديث فلم يغتاظون منّي وأنا لا أفعل في نهاري إلاّ ما يفعلونه في ليلهم؟!.

لِمَ يغضبون منّي وهم يؤجّلون صراخهم ليبثّوه في أحلامهم وأنا أُعلنه في وجوههم؟!

صار يخيل إليّ أنّ الناس ينظرون ملياً في وجوه من يحبّون ويكرهون ليستحضروا التفاصيل الصغيرة في أحلامهم فيبثّون أشواقهم، لواعجهم أو يشتمون ويقذعون.

حاولْتُ أن أفعل مثلهم علّي أظفر بشعاع حلم.

عندما مرَتْ بي سيارةٌ مسرعةً في يومٍ ماطرٍ، فرفعَتْ ماءَ الأرضِ ليغطي جسدي، ثم توقّفَتْ بعد بضعة أمتارٍ لينزلَ صاحبُها إلى مقصده، عدْتُ إليه، نظرْتُ مليّاً إلى الوجه البارد والعينين اللا مباليتين، أخبرْتُهُ ببساطة أنّ عليه أن يخجلَ لأنّ ماءَ الفرح الذي سرقَهُ من قلوبِ الناس واشترى به سيّارته قد أعاده قذراً ليوسّخ ثيابي بطين انحطاطه.

تجاوزْتُـــهُ وأنا أحاول استذكار الوجه، كان قد غابَ عن عينيّ وذاكرتي كليّاً، فقد سقطَ رأسُــهُ بين أقدام كلماتي، وفشلْتُ أن أراه في حلم ليليّ.

اجتمع المتضرّرون من سلاطة لساني، من جرأتي، وبيّتوا أمراً.

دعونـــي إلـــى سهرةٍ عائليةٍ ثم شغّلوا التلفاز الذي لا أحبّ ولا أتابع.

علـــى إحـــدى القـــنوات: شاعرٌ يمدح بطولةَ الأمير ووطنيته.

علـــى قناةٍ أخرى: تقريرٌ عن المتاجرة بالـــرقيق الأبيض، إحدى الدول العربية تعدّ من أكبر خمس دولٍ تعتمد على هذه التجارة.

على قناةٍ ثالثة: رئيسٌ أمريكيّ يطالب بتحقيق العدل والقضاء على الإرهاب.

علـــى قناةٍ رابعة: طفلٌ يُستخرَجُ دون رأسٍ مـــن تحـــتِ أنقـــاض بيـــته الذي هدّمه الاحتلال.

علـــى قـــناةٍ خامـــسة: راقصةٌ تزلزل الأرض تحـــت قدميها وتنتزعُ الشهقاتِ بغنجها وغمزاتِ عينيها.

علـــى سادسة: شيخٌ وقورٌ يتحدّث عن جواز حلق اللحية أو إطلاقها.

على قناة سابعة، على، على، على...

أحســـسْتُ بنفسي أغُوصُ في مقعدي، أنْفَصلُ عن الجميع، صرخْتُ:

- لم أعدْ أستطيعُ المتابعة.

خـــرجْتُ، كـــان رأسي الشامخ يتدلّى فـــوق عنقـــي، وصـــوتي يـــرفض الإصـــغاءَ لأوامـــري، ويـنـــزوي بانكسار. لقد كنْتُ خارج المجـــالِ المغناطيسيِّ لكلّ هذا الذلّ، والجبروت داخلـــي تحوّل إلى ضعف أمام هذه السيول من القذارات.

يـــومها نمْـــتُ نوماً مضطرباً، حلمْتُ للمـــرّة الأولـــى بكلّ هؤلاء: بشاعرٍ يقذفُ حممَ شـــعره فـــي وجه أميرٍ متخاذل، بطفلة أُخذتْ للمـــدارسِ بـــدلاً مـــن بيوتِ الدعارة، برئيسٍ أمريكـــيّ لطـــيفٍ يأمـــرُ بالمعروف وينهى عن العدوان، بطفلٍ عادَ إليه رأسه فأخذتْهُ أمّه بين ذراعيها لتكملَ إرضاعَهُ، براقصةٍ انفضّ الناسُ مـــن حولها، فتحوّلتْ زلزلتها إلى دبيب نملةٍ، وبـــشيخٍ وقـــورٍ يدعـــو لترك الترّهات ونشر المحبّة.

استيقظْتُ والعَرق يتفصّد من جسدي..

هـــا هـــي الدنـــيا بخير، ها هو العالم يـــرتّبُ تفاصيله كما نشاء، ربّما لم أعدْ أحتاجُ صـــوتي، أو أنّنـــي يجـــب أن أدّخره لأصرفَهُ فـــي بـــنوك الأحـــلام، لا داعـــي لكـــلّ هـــذا الـــتأهّب والغضب والعناد، آن الوقت للمصالحة مـــع كـــلّ ما حولي، أليس كلّ شيءٍ يسير كما أريد؟!

فجـــأةً انتفـــضْتُ، فهمْتُ الخدعةَ التي تعرّضْتُ لها، جمعْتُ أولئك الذين أرادوا سرقةَ صوتي، صحْتُ فيهم:

- لـــن أؤجّـــل شـــيئاً، سيبقى النهار للكـــلام، لـــن أدعَكُمْ تشوّهون ليلي، سأكنسُكُمْ مـــنه، وأمحـــوكُمْ مـــن ذاكرتي كخطوة أولى، وللقصّة بقيّة..



رجلُ التاريخ..

شعر الدكتورة: سعاد الصباح

عندما أتذكرُكَ أغتَسلُ بماء التاريخِ وأتَوشَّح

بالرجولةِ والكَرامة...

إنَّ التاريخَ الذي صَنَعْتَهُ بيديْك يُدْخِلُني

في لَحَظاتٍ من الكِبرياء التي لا توصف.

فكبريائي كامرأة لا يُقَدَّر بالياقوت والمرجان

والماس والذهب...

وإنما هو الشعورُ بالانتماء إلى رجُلٍ عظيمٍ هو أنت.

إن اختيارَكَ في ذات يوم بأنْ أكونَ مهندسة لدُنياك

من دون جميع النساء، سيمفونية رائعة الألوان.

أدخلْتَ الربيعَ والضوءَ والماءَ لنفسي فأينعتْ أيامي..

وأوْرَقَت ساعاتُ يَوْمي..

فأصبحتُ شهيةً كالسكّر..

وصافيةً كالدمعة..

ومذهلةً كصباحٍ بنفسجيّ








آهِ يا سيدي..
ويا سيِّدَ الكلمات.
عندما أعطيتَني مفاتيحَ مُدُنِك..
وشطَبتَ جميعَ نساءِ العَشِيرة..
واحدةً.. واحدةْ..
وطلبتَ من جُنودكَ مُبايعتي..
أمامَ عيونِ القبيلة..
وعلى دقّاتِ الطُبول..
وفَرَحِ الأطفال..
أميرةً على قلبك.
نمْتُ في جَوْفِ يَديْك..
كَدَانةٍ خليجية.
إن ميراثَكَ المخزونَ في ضَميري..
هو أكبرُ من لُغتي ومُفْرداتي..
وأكبرُ من طاقتي..
هو قِلادةُ الوفاءِ في عُنُقي..
واللحظةُ الباهرةُ في حياتي..
والتاريخُ الجميلُ الذي أُباهي به الدنيا..
والذي سوفَ أتركُه من بَعْدي..
لأولادي ليتعَلَّموا منه دروسَ..
الرُجولةِ والكبرياء..




فن الحوار في القرآن الكريم

بقلم:
أحمد شوحان

كلما قرأت ما تيسر من القرآن الكريم شعرت بحاجتي إلى قراءة أُخرى لأزداد علماً وحلماً، إذ لا غنى للإنسان عبر مسيرة حياته عن العلم والحلم، فبهما تستمر مسيرة الحياة، وبهما تستقر النفوس وتسعد الإنسانية، ويحتاج لهما الباحث عن الحقيقة كلما تهافتت عليه المبادئ الغربية، والفلسفات المادية، والهجمات العسكرية والفكرية الرهيبة.

وعقل الإنسان دائماً يبحث عن حلول المشاكل للأزمات، ولم يجد العقلاء والحلماء أفضل من الحوار الهادئ للوصول إلى النتائج المرجوة، ولم أجد كتاباً يتحدث عن الحوار وأسلوبه وطريقته، وتعدد مناحيه كالقرآن الكريم، لأنه كلام الله ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد كان الرسول ﷺ مثلاً أعلى لأصحابه في الحوار الهادف، وحين نستظهر سيرته العطرة نجده الإنسان الذي يحب الخير لأخيه الإنسان، ويعمل من أجل إسعاده، ويبذل ما بوسعه من أجل هدايته وإن كان عدواً لدوداً من قبل، وهو الذي وقف على قارعة الطريق يسمع شكوى امرأة ظلمها زوجها فيحاورها، وتحاوره بإلحاح وغضب:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ

تحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [المجادلة: ١].

بيَّن القرآن أسلوب الحوار، وأنه لا يستقيم إلاَّ إذا كان المتحاوران يبحثان عن الحقيقة، وأنهما لا يريدان التعالي على بعضهما أو تحقيق مصالح شخصية نتيجة ذلك الحوار، وأن أفضل ما في الحوار الإخلاص، وإن المتحاورين إذا فقد الإخلاص من إحداهما فقد فسد الأمر، وغاب الأمل في الوصول إلى ما فيه الخير والصلاح.

وإذا لم تكن الحكمة ضالة الطرفين فإن مآل هذا الحوار سيكون مصيره الفشل، وستكون النتيجة أن هوة الخلاف ستزداد بين المتحاورين، وأن نقطة اللقاء ستكون بعيدة بينهما كلما ازدادا في الخلاف.

وقد أثنى القرآن على الإنسان الذي يطرح فكراً نيراً مستقيماً، وعمل بهذا الفكر، وأشار لصاحب الرأي الآخر أنه يريد الخير للآخرين، وأن مستسلم لما يريده الله للإنسان من خير، وأن على الإنسان أن لا يكون فظاً غليظاً، لأنه الإخلاص يكون في الاستسلام الخالص لله.

ومن خلال الإخلاص والحوار الصادق تلتقي الآراء، ويعمل الطرفان المتلاقيان من أجل الفضيلة والخير للجميع، بروح أخوية مخلصة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٤].

وينظر القرآن إلى الرسول ﷺ وهو قدوة الأمة، لتأخذ بهدية وأسلوبه في حوار المشركين الذين يناصبونه العداء، ويضمرون له المكائد، ويتحينون له الفرص للمكيدة به، فيوصيه بالرفق في تبليغ دعوته ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويطرح القرآن الكريم أسلوب الرفق في الحوار بدلاً من الغلظة، وأسلوب التآليف والتوادد بدلاً من التدابر والتقاطع، فهو يخاطب الرسول ﷺ مبيناً أسلوب عرض الدعوة وحوار الآخر، حوار ظاهره لرسول الله ﷺ، ولكنه في الحقيقة نداء لجميع المسلمين إلى يوم القيامة ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكما حرص القرآن الكريم على دعوة مشركي مكة للدخول في الإسلام بالأُسلوب الحسن، فكذلك دعا أهل الديانات السماوية التي بشرت بهذا النبي ﷺ الذي سيظهر في آخر

الـزمان، ويدعـو إلى توحيد الله، ونبذ الشرك وتعدد الآلهة، وإقامة العدل في الأرض بعد أن كثـر الكفر بالله، والطغيان في استبداد الإنسان بأخيه الإنسان.

وحـيث أن الله يعلـم أن هذا الإسلام سيبلغ الآفاق، ويدخل الممالك القريبة والبعيدة، فقـد حث حملة هذه الدعوة من جيل الصحابة الـذين كـان بينهم هذا النبي الكريم إلى الرفق بمن لا يدينون بالإسلام، وعدم الاعتداء عليهم، لأنهـم أتباع الأنبياء، نزلت عليهم كتب مقدسة في السماء، تدعو إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والخـرافات والأباطـيل، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وبـذلك يجعـل القـرآن الكـريم أهل الرسـالات الـسماوية في القرآن الكريم، في الـصف الأول لهدايـة البـشرية جمعاء، وأن هـؤلاء ق سـبقهم أنبياء ورسل كثيرون ورد ذكـر بعـضهم فـي القرآن الكريم وسكت عن بعضم الآخر ﴿ وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾ [النساء: ١٦٤]،

لأن أصـحاب هذه الرسالات دعوتهم واحـدة، هي التآخي والتحابب والتوادد، وإنقاذ الـناس من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى رسـالات الله بأسـلوب حسن بروية وبصيرة، ومـا نراه اليوم من تصرفات بعض أتباع هذه الرسالات السماوية حيث يؤذي بعضهم بعضاً، أو يتآمـر بعـضهم على بعض بالظلم والقتل، فإنمـا ذلك تصرّف شخصي من الأتباع لا من أصـحاب الرسالة، ومن الذين ينتمون إلى هذه الأديـان بألـسنتهم ولا يعملـون بما ورد عن أنبـيائهم، فهـم بهـذا الخـروج عن مبادئ رسـالاتهم، إنما يخرجون عن مضمون دعوة هـذه الرسـالات، ويخرجون عن تبعيّة أولئك الأنبياء.

ضرورة الحوار

يعتبـر القرآن الكريم الحوار ضرورة واجـبة بين الجانبين المختلفين لإظهار الحجة من طرفٍ لإقناع الطرف الآخر، فبالحوار يكون التلاقـي، وبالحوار تُحل المشكلات، بينما نجد في الصدود والتنافر القَطيعة والتشرذم.

وحـيث أن الإنـسان كثيـر الجـدل، ومن طباعه المشاكسة وطلب الحجة الواضحة، وهـو لا يستسلم للآخر إلاّ عن قناعة فإن الله قـال: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٤].

فمـن أجل ذلك أرسل الله ﴿ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء ١٦٥].

وبـذلك تـتحقق حجة الله البالغة على البـشر الـذين يـريد الله لهم الإيمان والتوبة

والعبودية الخالصة له، وبذلك يتحقق معنى الآية ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وبذلك يتحقق قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصّلت: ٤٦].

قواعد الحوار

يشترط في الحوار أن يكن هادئاً بعيداً عن التناقض، متجرداً عن الشبهات، يطلب الدليل بصراحة، ليقوم على قاعدة علمية ثابتة، بعيداً عن التعالي والمكابرة، فإذا كان عكس ذلك، فإن نتيجته تكون عكسية سلبية، فلا يؤتي ثماره، وقد ينقلب إلى ما لا تحمد عقباه.

إن أي حوار ما لم يرتكز على قواعد علمية سيكون أقرب إلى حوار الطرشان منه إلى حوار العقلاء. لقد بين القرآن الكريم أن العلم أساس نجاح الحوار في آيتين تكررتا حرفياً في سورتي (الحج والقمان) هما: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج: ٨ / لقمان: ٢٠].

وأن يتجرد المحاور من العنجهية والأنا، حتى لا ينتهي حواره إلى طريق مسدود، ومن ذلك ما نرى من وصف دقيق يعرضه القرآن الكريم للمستكبرين وأهل الأهواء: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ [القمر: ٢ – ٣].

وينقطع الحوار حين يستكبر طرف على الآخر، ويحكّم أحدهما هواء للاستعلاء، والمكابرة في طرح الحجة، وإثبات الدليل ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ٨٧].

ويبين القرآن الكريم أن المغالاة في الرأي أو المنهج وانتقاص الآخرين ونكران حجمهم أمر مرفوض تاريخياً ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأنعام: ٩١].

وحين يكثر الخلاف لا بد من طلب الدليل القاطع الذي يحسم الموضوع المختلف فيه، ويزيل الغبار الذي ران على الحقيقة لتشويهها.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١]،

إن الدليل برهان ساطع لإيضاح الحقيقة ولذلك جاء القرآن يقول: ﴿ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ في عدد من الآيات، وفي سور متعددة. [البقرة: ١١١/ الأنبياء: ٢٤/ النمل: ٦٤/ القصص:٧٥].

الحوار المحمود والحوار المذموم

يستمر الحوار ناجحاً طالما أن الطرفين لم يُخلاّ بقواعده وآدابه، ويعمل كل طرف منه لإنجاح المهمة التي يعمل من أجلها، والتي تنحصر في التقارب وحل المشكلات، ونبذ العنف الذي يؤدي بدوره إلى الاختلاف، فالافتراق والاقتتال أخيراً.

نجد القرآن الكريم يطرح المشكلة، ثم يتدرج في حلها حتى النهاية، فهو يطرح أسلوب الروية والحكمة، والحوار الهادئ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم ينتقل حين يغلق باب الحوار، ويبدأ الاختلاف، وتلوح في سماء الحوار علامات الخلاف والغضب، وحينما لا ينفع التحذير من الخلاف يتوجه القرآن إلى المتحاورين بعدم استعمال سلاح البذاءة والشتائم والسباب ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

هنا نجد البعض يلجأ إلى إشعال فتيل الفتنة والحرب، والإسلام ضد ذلك فهو دين السلم والسلام، فنجد القرآن يتدخل قبل انفجار الفتنة فيأمر الطرفين أن يفترقا من هذا المجلس الساخن على أمان، عسى أن يلتقيا مرة أخرى، فيتفقا على الوفاق، وحل ما اختلفا فيه ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [النساء: ١٤٠].

الحوار السري والحوار العلني

هناك أكثر من أسلوب للحوار، وذلك بحسب الظروف التي يعيشها الطرفان، وبحسب الأسباب التي دعت إلى ذلك الحوار.

فإما أن يكون سرياً جاء القرآن الكريم بذمه وذلك من خلال آيات كثيرة جمعت بين كلمتي (السر والنجوى) ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٨].

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ [طه: ٦٢].

وإما أن يكون الحوار علنيا فهو واضح لا غبار عليه، وهو ما يسمى في

عصرنا الراهن (البث المباشر على الهواء) حيث تظهر الحقيقة جلية من خلال الحوار المباشر للمشاهدين والسامعين من كلا الطرفين، يقول القرن الكريم: ﴿ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وبالحوار العلني حاور الأنبياء أتباعهم وخصومهم كما فعل إبراهيم، وكما حاور موسى فرعون، وكما حاورت مريم الذين أنكروا عليها ولادة عيسى من غير أب، وكما حاور عيسى قومه حين طلبوا منه مائدة تنزل عليه من السماء، وكما حاور شعيب قومه حينما قدم لهم النصائح، وكذلك ما فعله صالح ولوط وهو من أقوامهم، وما واجهه من ابنه من جفاء وعناد واستكبار.

والحقيقة أن جميع الأنبياء قد مارسوا الحوار إما مع الله عن طريق الملائكة، وإما مع الناس مباشرة.

وأن الله حاور الإنسان من خلال إرسال الأنبياء والرسل إليه لهدايته، وحاور الملائكة وإبليس من الجن حين طلب منهم السجود لآدم.

الحوار مع أهل الكتاب

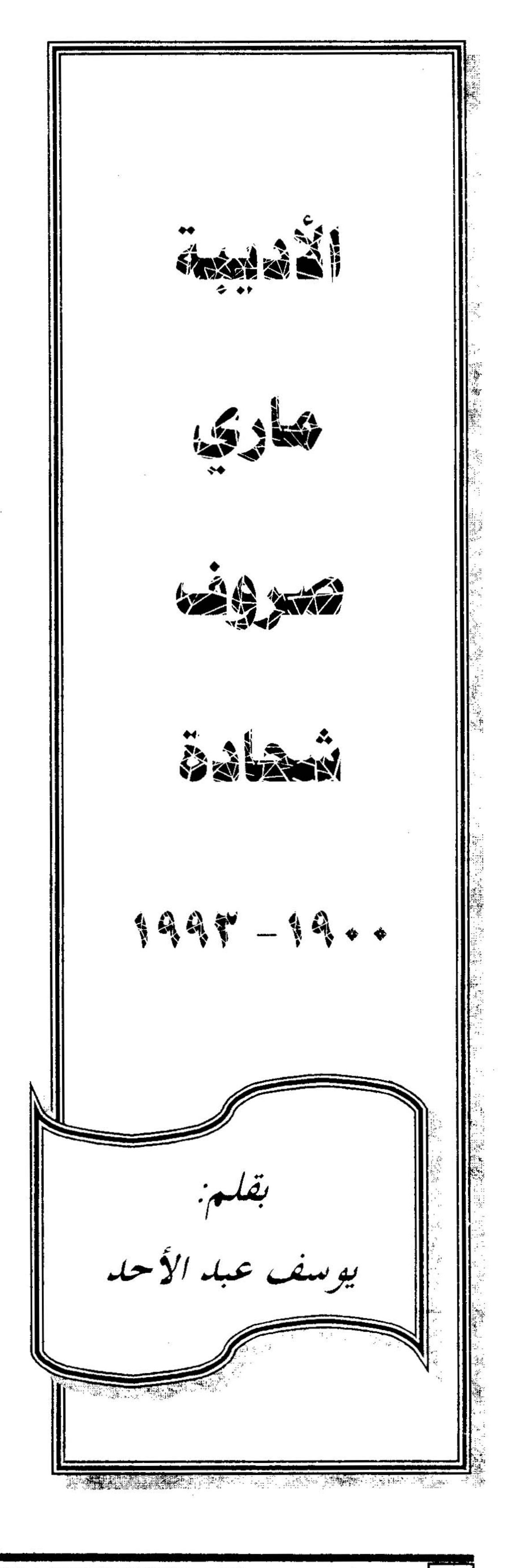
أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمسلمون، حيث أنزل الله على أنبيائهم التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وحيث أن الإسلام آخر هذه الرسالات السماوية وأن محمداً ﷺ آخر الأنبياء، فقد جاء القرآن الكريم يروي أخبار الديانتين السابقتين، وقصص الأنبياء والأمم السالفة، وذكر الصالحين والطالحين من أصحاب هاتين الرسالتين السابقتين.

والحقيقة أن الإسلام حينما نزل آمن به كثير من اليهود والنصارى، وصد عنه كثير من اليهود والنصارى، فكانوا أعواناً لمشركي مكة في خصومة الإسلام ونبيّه وأصحابه.

لكن القرآن جاء منصفا لأصحاب الديانتين السالفتين، ومؤيدا لما جاء به أنبياؤها.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران].

إن الحوار سيبقى نداء القرآن للناس جميعاً، ليصلوا إلى النتيجة التي يرضى عنها الجميع، ويستمر الحوار مدى الحياة.



أديبة ومحاضرة تربوية واجتماعية من أوائل الرائدات الفلسطينيات ومن إحدى مؤسسات (جمعية السيدات العربيات) في القدس عام ١٩٢٧ أسست في رام الله مع نخبة من السيدات (جمعية السيدات الإنجيلية) ثم أسست مع زميلاتها مدرسة ابتدائية.

ولدت ماري صروف في مدينة رام الله بفلسطين ونشأت في بيت علم وأدب وتلقت دراستها في مدارس رام الله وأخذت تكتب وتنشر مقالاتها الأدبية في الصحف والمجلات المنوعة منذ عام ١٩٢٠.

كانت تتمتع بنشاط اجتماعي متميز وتلقي محاضراتها على الجماهير في الأندية الثقافية والاجتماعية في كل من القدس ويافا وحيفا وغزة، وخصص لها برنامج إذاعي أسبوعي في محطة إذاعة القدس تلقي من خلال المذياع محاضراتها القيمة في التربية والمجتمع واستمرت فيه مدة ثلاث سنوات

ثم تزوجت من الأديب والصحفي بولس شحادة من رام الله (١٨٨٢ - ١٩٤٣) مؤسس جريدة (مرآة الشرق) التي كانت تصدر أسبوعية باللغتين العربية والإنكليزية في القدس، وصدر العدد الأول منها في ١٧ أيلول ١٩١٩ واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٣٩ حيث أغلقت حكومة الانتداب الصحيفة لنشرها قصيدة دعا فيها شباب العرب إلى الثورة.

وتعتبر هذه الجريدة أول صحيفة عربية صدرت في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني وسجلاً هاماً لقضية فلسطين، وهو أول صحفي حذّر مع زميله نجيب نصار صاحب جريدة (الكرمل) من مطامع الصهيونية في فلسطين.

كانت ماري إحدى مؤسسات جمعية (السيدات العربيات) في القدس عام ١٩٢٧ وهي أول جمعية نسائية ضمّت السيدات والأوانس العربيات النشيطات من مختلف الأديان وهنّ:

(زهية ونعيمة ووداد ونوال ونعمة النشاشيبي- سائدة جار الله - ماري حلبي - زباء نسيبه - عدلا شرف - جوهرة نمر - نسطاس حلبي - نائلة الكيخيا - عائدة الدجاني - شهنده الدزدار - عصمت العلي - سماح درويش - كوثر عريضه - نباهه القطب - نازك ستيتيه - هالة وسوسن نسيبه - عيوش أبو الهدى).

ومن أهداف هذه الجمعية رفع مستوى المرأة الفلسطينية اجتماعياً وأدبياً وثقافياً، وخدمة الوطن ونشر الثقافة بين طبقات المجتمع.

كانت الجمعية تجوب المدن والقرى الفلسطينية لنشر الوعي القومي وتزور المعتقلات والسجون وتدافع عن حقوق المساجين والمظلومين.

وفي عام ١٩٣٦ إبان الثورة في البلاد اشتركت الجمعية بالنضال وسارت في المظاهرات وألقت الخطب الحماسية وحثّت على الإضراب الذي استمر ستة أشهر، وكانت تتصل بالجمعيات النسائية العربية لنشر الحق وطلب مساعدة فلسطين في محنتها.

وفي عام ١٩٥٣ افتتحت مدرسة مجانية لمكافحة الأمية ومشغلاً لتعليم الخياطة والتطريز وكانت تزوّد الطالبات بالملابس وتقدم لهن وجبة طعام.

كان للجمعية مجلس إدارة ترأسته (زهية النشاشيبي) عام ١٩٢٩ وهي خريجة راهبات صهيون وأنهت دراستها الثانوية فيها وهي من الرعيل الأول المثقفات.

ظلّت ماري تعمل في الجمعية بنشاط حتى النكبة ١٩٤٨ ثم انتقلت إلى رام الله وأسست مع نخبة من السيدات جمعية (السيدات الإنجيلية) ومن أهدافها مساعدة الفقراء، ثم أسست مع زميلاتها مدرسة ابتدائية وميتماً ضمّ أربعين يتيمة.

ثم انتقلت إلى عمان لتعيش مع ابنتها السيدة الفاضلة نجلاء زوجة الأديب الراحل يعقوب العودات (البدوي الملثم) (١٩١٠-١٩٧١) حتى وافتها المنية في أيلول ١٩٩٣ ودفنت في عمان.




وجع النخيل..

شعر : فرحان الخطيب

بغـــدادُ.. وجهـــكِ لا يـــزالُ جمـــيلا
ويفـــيضُ ألـــفَ بطـــولةٍ ونخـــيلا
بغـــدادُ تـــرقصُ فـــوقَ كفِّـــي طفلـــةً
عـــربيةً لا تقـــبلُ الـــتأويلا
بغـــدادُ أغمـــضُها عيونـــي غفـــوةً
فـــيطلُّ وجهـــكِ في الدُّجـــى قـــنديلا
بغـــدادُ كـــيفَ تطـــوفُ حولـــيْ رقـــةٌ
وأجانـــبُ الهمـــساتِ والتقبـــيلا
بغـــدادُ كـــيفَ تـــضوعُ حولـــي وردةً
فـــأغضُّ طـــرفي أو أشـــيحُ ذبـــولا
بغـــدادُ توقـــعُ في شـــباكِ هـــيامِها
مـــن نظـــرةٍ لا.. لا تـــريدُ دلـــيلا
ريانـــةُ اللمـــساتِ ســـاحرةُ اللّمـــى
تُـــشفي ولـــو كـــانَ الـــزمانُ علـــيلا
تحـــتارُ إن عطفـــتْ عطفـــتَ وإنْ نـــأتْ
فلـــربّما عـــشتَ الوجـــودَ قتـــيلا

* * *

بغـــدادُ لـــو لاحـــتْ بأفـــقٍ كوكـــباً
لبنـــيتُ في أفـــقِ الـــسماءِ مقـــيلا







بغـــدادُ أســري والطـــريقُ طـــويلةٌ
فـــألمُّ بعـــضي قاصـــداً مذهـــولا
تطـــوي إلـــيكِ الـــشمسُ جـــلَّ دروبهـــا
مـــا طـــلَّ دربٌ لـــو رغـــبتُ طـــويلا
كـــم أشـــتهي بغـــدادُ تمـــنحُ ودَّهـــا
وتـــذبُّ عـــني لائمـــاً وعـــذولا
بغـــدادُ قمـــحٌ في سمـــاءِ بـــيادرٍ
عـــرباءَ تأبـــى أن تعـــيشَ نحـــولا

* * *

يـــا وجهـــنا العربـــي ذاكَ فـــراتُنا
إن تحتـــضنهُ فقـــد حـــضنتَ النـــيلا
وافـــردْ جناحـــيكَ اللّـــذينِ تـــثاقلا
وجُـــبِ الفـــضاءَ أمـــا كفـــاكَ خمـــولا
هَـــبْ أن بغـــدادَ احـــتمتْ بجهـــنمٍ
فمتـــى قـــريتَ جهـــنمَ التبجـــيلا
هَـــبْ أنَّ ضـــوءَ الـــشمسِ يبـــزغُ فجـــأةً
مـــن فاســـقٍ أفـــلا تـــشك قلـــيلا
هَـــبْ أن شـــوكَ الفقـــرِ يحـــرقُ جلـــدَها
تهـــبُّ تـــشعلُ في الهجـــيرِ فتـــيلا
وَهَـــبِ العـــراقَ يلـــوذُ في حـــرماتِنا
فمتـــى خذلـــنا قاصـــداً ودخـــيلا..؟
هـــو دجلـــةُ الظمـــآن يطلـــبُ مـــورداً
فـــأدرْ لـــه دمـــعَ العـــيونِ ســـيولا
فلـــربما تحـــتاجُ ردَّ جمـــيلهِ يـــوماً
وتخـــشى أن يكـــونَ بخـــيلا







خجلٌ أنا لو كنتُ جمرَ قصيدتي
لأحلتُها ضدَّ الطغاةِ خيولا
لو أنَّني أستطيعُ سرجَ حروفِها
أجّجتُ ساحَ الرافدينِ صهيلا
لتصيرَ تلكَ الأرضُ حبلى بالفدا
ويطفُّ رحمُ الرافدينِ فحولا

أنا لم أزرْ بغدادَ إلاَّ أنَّني *
صليتُ فيها غدوةً وأصيلا
أنا لم أزرْها غيرَ أنَّ بلاغةً
هطلتْ على نبعِ القريضِ هطولا
أنا لم أزرْ جدِّي فجاءَ إلى هنا
فكراً ومجداً.. عالماً وجليلا
ورحلتُ في جسدِ المعرِّي قاصداً
أسَّ الفصاحةِ فاكتسبتُ جزيلا
ولأنها.. ولأنَّنا لا تحرقوا
نخلَ العراقِ فما العراقُ ضئيلا
عذراً بيانَ قصيدتي لم أستطعْ
أن أكثرَ التلوينَ والتظليلا
ولأنهمْ لا يدركونَ كنايةً
فلبستُ ثوبَ صراحتي مغلولا
بغدادُ ضمّي جانحيك محبةً
وتمرَّدي.. ودعي الغزاةَ فلولا






أحبَّ رجلٌ أن يتملّى البحر، والكرة اللاهبة المحمرّة التي أوشكَ يلتقمها وقتَ الأصيل. فجلسَ على صخرة، ينعم النظر في المشهد، وما لبثَ أن أشهرَ منظاراً، وشرعَ يحصي الزوارق والمراكب وقد انعكسَ عليها الوهج الغسَقي، فأحالها شواظاً من ياقوت، ودرّاً منثوراً في أفق رمادي.

وافتُتنَ الرجل بما رأى، وأنشأ يصفّر تارةً، وتارةً يصعّد موّالاً شأنَ عشاق البحر والهواء والفُسح المتمرّدة على الأسيجة والعوازل. ولم ينتبه في غمرة انبهاره إلى خفر الشواطئ، وحرّاس الماء، وقد أحاطوا به. إلاّ حينَ لقّموا المسدّسات تلقيمة رجل واحد، وصوّبوها إلى صدغيْه آمرين:

- قفْ أيها الرجل. أنتَ معتقل.

نطَّ قلب الرجل من صدره إجفالا، وفر اللون من وجهه وأطرافه، وتمكّن بعدَ محاولات من الوقوف على قدمين مرتعشتين، أشبه بقصبتيْن تصفّر فيهما الريح.

- من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟.

تأتأ الرجل رافعاً ذراعيْه بآليّة تتوافق وطبيعة الموقف:

- أنا.. أروّح عن نفسي، وأراقب البحر، أصيد الجمال والهواء والنور.

تبادلَ الرجال النظر، وقال أحدهم:

- هل معكَ رخصة صيد؟

- لا.

وقالَ آخر:

- هــل تعمــل منقذاً لحساب مسبح أو مجمّع سياحي في (البلاج)؟

- لا.

وتوالت الاستفسارات:

- أتعمل موظفاً في الأرصاد الجويّة؟

- مخــرجاً ســينيمائياً لحــساب شركة مدعومة؟

- هل أنت مخبر سرّي؟

- هــل تخطــط لنــسف البنى التحتية للسياحة الوطنية؟

وتوالت الإجابات:

- لا... أبداً... مطلقاً..

عادَ شرطي، فسألَ الرجل:

- لمــاذا إذن تتنــشّق الهواء، وتراقب الــشمس، والبحــر، والــنوارس، دونَ إذن مسبق؟.

دُهشَ الرجل واستفسرَ:

- وهل هذا ممنوع؟.

زعقَ الشرطي:

- أيهــا الــوقح.. لا تجــبْ عن سؤال بسؤال. قلْ الحقيقة فوراً:

هــل معــكَ إذن رســمي بالتــنفّس والغــناء واستخدام المنظار في هذا المكان أو سواه؟.

طأطأ الرجل رأسهُ، وتمتمَ باستكانة:

- لا.

تنفّسَ الرجال الصعداء. وقالَ الشرطي:

- ألا تعلــم أنّ هذهِ الأمور مباحة فقط للــسيّاح لقــاء نهوضــهم بالاقتصاد الوطني، ولرجال الشرطة لقاء سهرهم على الأمن العام والخاص؟

مرة أخرى أجابَ الرجل متلعثماً:

- لا... لا أعلم.

قهقــهَ الــشرطي مكشرا عن أضراس مسوّسة، وأعلنَ مجدداً بانتشاء وخُيلاء:

- أنتَ معتقل.

فــي الطريق إلى مركز الشرطة، احتار الــرجل فــي أمــر مباراة الرفس والركل التي تنافسَ فيها الشرطيّون، واستهدفت إليتهُ بشكل خــاص، مما اضطرّهُ إلى إفراغها من الغازات المــصوّتة وغيــر المــصوّتة. ولم يفهم لماذا يــركلونهُ ويدفعــونهُ طالمــا أنهُ مقيّد اليدين، مسيّج بالمسدّسات الملقّمة.

وهكــذا، أوقفَ الرجل طويلاً في انتظار محاكمة موعودة. وأخيراً، حينَ مثلَ أمام قاضٍ أصــلع، ســمين كدبّ قطبي، وجّهَ القاضي لهُ سلــسلة اتهامات بصوت جهوري مفخّم، ذكّرهُ بآخر موعظة سمعها في كنيسة. فقال:

- أيهــا المــواطن: لقد ضُبطتَ متلبّساً بجــرم استنــشاق الهواء، ومراقبة ما حولكَ، والغــناء والتــصفير بــصوت عالٍ أقلقَ راحة المصطافين، وحيازة منظار،..

وبلغــت بــكَ الوقاحة حدّ انتهاك حرمة الــصخور البحرية، والتربّع على إحداها دونَ عقــد إيجــار أو ســند تمليك. والتطفــل على العشاق في اليخوت الوادعة وسْطَ البحر، علماً بأنــكَ لستَ صياداً، ولا عالم أرصاد، ولا منقذ شــط، ولا تحرّياً خاصاً، ولا مخرجاً سينيمائياً.

علاوة على تلويث البيئة بالسجائر التي صودرت من جيبكَ، وبالغازات السامة التي أهنتَ بها الشرف البوليسي في مدينتكَ. وإلى اتهام الحكومة بإفساد مزاجكَ وسعادتكَ بقولكَ أنكَ (تروّح عن نفسكَ) بمراقبة البحر، طبقاً لما وردَ في محضر الاستجواب رقم كذا، تاريخ كذا.

فماذا تقول في هذه التهم؟

وما كادَ القاضي ينهي خطابهُ، حتى أبصرَ الرجل ثلة من العسكر تدخل القاعة بخطاً استعراضية مهيبة وموزونة. وتتقدّم من المنصّة بزنزانة مسبقة الصنع، كُتبَ اسمهُ على أحد قضبانها.

ارتاعَ الرجل لما سمعَ و رأى. وفقدَ صوتهُ للحال.

خسارة... أرادَ أن يوضح جليّة الأمر لمجلس القضاة... ويفهمهم أنّ التباساً وسوءَ فهمٍ قد حصلا. وأنهُ بريءٌ من التهم المعزوّة إليه براءة قدّيس من زانية. وقد دفعَ كل الضرائب والفواتير والمستحقات التي ترتّبت عليه لأقسام الجباية، دونَ غرامات تأخير، ومن اليوم الأول، كدأب أي مواطن ملتزم.

أرادَ أن يحتجّ بتهذيب على منح رخص للغناء والنظر والجلوس والتدخين في الهواء الطلق. وأن يذكّر السادة القضاة أنّ عدد لفافات التبغ التي تُدخّن يومياً في العالم تعادل عشرة بلايين سيجارة أو تنوف... و أنّ ما يعادل خمسة بلايين نسمة من سكان المعمورة عليها أن تخضع للتفتيش عن السجائر، لا أن يقتصر التحرّي والاتهام بتلويث البيئة عليه فحسب.

وأحسَّ بضرورة أن يثبت مؤازرتهُ المطلقة للحكّام وللحكومات في كل زمان ومكان. فقد ادّخرَ عشرات القصائد والأشعار والمُدح اللائقة بمناسبات التمجيد، والتنصيب، والتأبين، والفخر بالمناقب والكرامات والأنساب والمنجزات والانتصارات، والتي طالما حلُمَ بإلقائها على المنابر والأسماع.

لكنّ صوتهُ فرَّ منهُ، كما فرَّ قلبهُ.

فلم يحرْ جواباً.

وقالَ الراوي:

بعدَ عدّةٍ من الزمن، انتهت محكوميّة السجين، فخرجَ إلى الشارع العام بشعر وشارب أشيبيْن. وقدّمت لهُ إدارة السجن مكافأة نهاية خدمة، وكانت عبارة عن هدية رمزيّة مكوّنة من نظّارة سوداء سميكة، وعصا بيضاء ناصعة.

وانطلقَ الرجل يتجوّل في الشارع، أو بالأحرى يتقرّى طريقهُ وسْطَ الزحام، فأبصرَ الناس يدسّونَ عيونهم في الأرض، ولا يرفعونها إلا لمَماً. وغالبيّتهم تسير بنظارات سوداء سميكة، وعصواتٍ بيضاءَ ناصعة.

ومنذُ ذلكَ الوقت، امتنعَ الرجل عن الذهاب إلى البحر، واستنشاق ملوحته الذّاكية، أو حتى.. النظر إليه من قريبٍ أو بعيد.

وحذا آخرون حذوهُ.




تنهد الشوق..

شعر: أ. كامل إسماعيل

تــنهد الــشوقُ أشــكالاً وألــوانا
يــا ومــضةَ العــشقِ كــمْ أشــعلتِ نيرانــا

كــم فــضت مــن ألــقِ الأيــام أغنــيةً
قــد أحــرقَتْ بومــيض الــشوقِ غيرانــا

وكــم تــباهت بــوجه الخــصم وانــدلقت
بــيارقٌ تمــلأ العــزال أحــزانا

قامــت وقــام بهــا لله مــئذنةٌ
وَرَتَّــلَ الحــبُّ إنجــيلاً وقــرآنا

وصــار وِرداً لأحــبابٍ وطائفــةٍ
حماهــا مــن دَنَــسِ الــشُّراك أزمانــا

هــو الحقــيقة في أسمــى مظاهــرها
فمــا اســتكان لمخلــوقٍ ومــا لانــا

عَاشــت بــه كــلُّ أســرار الحــياةِ وقــد
فاضــت جواجــيه أنغامــاً وألحانــا

لم يــرض دون جــنان اللهِ مــسكنَهُ
وهــو الــذي بفــسيح الخلــد يغــشانا

نادمــته مــنذ كــان الحــبُّ في دمــنا
ذرَّاتِ وجــدٍ وقــد ذابــت خطايانــا







يـــا لتاهـــي وقـــد أدمـــت ضـــفائرهُ
ســـاحاتِ مـــن عـــشقوا وازدادوا ألـــوانا
طـــار الـــسحابُ بـــنا والمهـــدُ لقنـــنا
سِـــرَّ الجـــدود وصـــار الـــشّعرُ نيـــسانا
يـــا غـــيمة الـــشوقِ كـــم أمطـــرت قافـــيةً
مِـــنْ وجنتـــيها وكـــم رددت ســـبحانا
وكـــم قـــذفت لهيـــباً في أضـــالعنا
وجـــدتِ مـــن ألـــقِ المـــشتاق أحـــيانا
حَمَلْـــتُ في جـــنةِ الأشـــواق مجمرتـــي
وطفـــت حـــولها تحـــنانا وإذعانـــا
وصـــرت حـــولها صـــوفيّاً أغازلهـــا
لتـــصبح الـــشَّفَةُ اللمـــياءُ بـــستانا
وأعـــبد اللهَ تعظـــيماً لوجنـــتها
وكـــيف كـــونها حـــسناً وإحـــسانا
قـــصيدةٌ قـــد تباهـــى في محاســـنها
مـــن صـــاغها وتباهـــى بالـــذي كانـــا
تفجـــرت بجـــبين الدَّهـــرِ ملحمـــةً
مـــن الجمـــال فكانـــا العـــشق إيمانـــا
كـــم بـــتُّ أشـــربُ بالـــصهباء معـــتكفاً
حتـــى صـــنعت مـــن الـــصهباء شـــطآنا
ثـــم تجـــاوزت أبعـــادي وبعـــدَهم
فـــصرْتُ في رحـــمِ الأيـــام شـــيطانا







ثـــم ارتحلـــت إلى الأعمـــاق منتـــشياً
أجـــوبُ في خَلَـــدِ الخَمَّـــارِ مـــيدانا
هـــذي بدايـــة ترحالـــي إلى غـــدِهم
إلى فـــسيحٍ غـــدونا فـــيه شـــبانا
يـــا جـــنة مـــن ريـــاض الله فـــسحتها
فـــيها اخترعـــنا ينابـــيعاً وغـــدرانا
جئـــنا علـــى قـــدرٍ نبغـــي مـــودَّتها
فـــصرنا فـــيها أكالـــيلاً وتـــيجانا
علـــى الـــشفاه وشـــاحٌ مـــن محبتـــنا
وفي الكـــؤوسِ بقايـــا مـــن بقايانـــا
هـــذا هـــو الخلـــدُ فـــيه الخمـــر مـــسكنُهُ
ونهـــر مـــاءٍ شـــربنا مـــنه أطـــنانا
لـــبانه مـــن صـــنيع الله لا دنـــساً
فـــيه وقـــد مـــلأ الأجـــواء ســـلوانا
تـــبدو الخمـــور بأشـــكالٍ ملـــونةٍ
وســـاقي الخمـــر بالتحـــنان يـــرعانا
فـــلا الـــتفاهة بعـــد الـــيوم تـــشغلنا
عـــن الحقـــيقة أو تـــثني ســـرايانا
روائـــح العـــسل المجـــنيِّ فائحـــةٌ
بـــين المـــريدين أشـــياخاً وفتـــيانا
مـــن كـــلِّ حـــدبٍ وصـــوبٍ جئـــنا نعـــشقها
قـــوافلاً نـــسرعُ الخطـــواتِ ركـــبانا

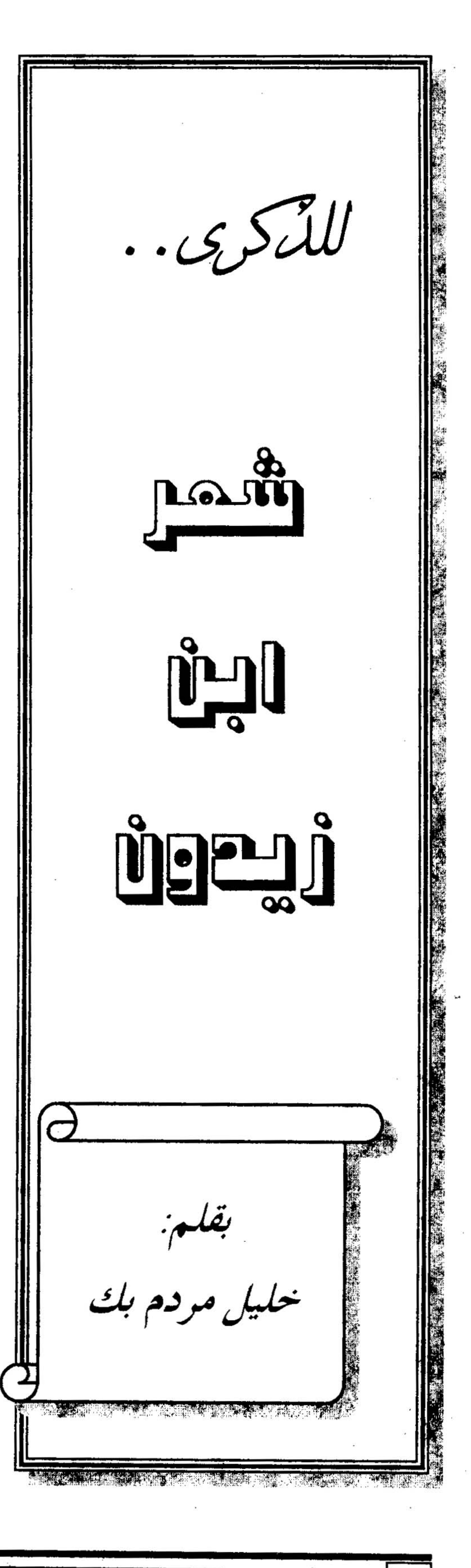






وكــدنا نمســك أحلامــاً بأخــتِ يــدٍ
مــوجاً مــن الحــبِّ أشــبالاً وصــبيانا
يــا جــنَّةً مــن قــديم الدهــر ســامقةً
فــيها نــصبنا أراجــيحاً وإيــوانا
فــيها إنتــشى ملــك الأفــراح يتــبعه
حــبٌّ يحــرر إنــساناً وعــبدانا
يــا جــنَّةً ومــياه الحــبِّ جاريــةٌ
صــغناها شــعراً وأفكــاراً وأوزانــا
مــا عــدنا نحلــم إلاَّ بالمحــبِّ وقــد
جــاد الحبيب بمــا أخفــى ومــا بانــا
إنــي لأعــشق مــا تــبديه فاتــنتي
مــن المحاســن حتــى تــصفو نجــوانا
حتــى تــزولَ بقايــا الــضغن مــن جــسدي
وتــصفو مــن كــدر الأيــام نــشوانا
يــا عــشق كــم زُيّــنت خــدي بأدمعهــا
ومــن حــرارةِ وجــدٍ أحــرقُ الآنــا
يــا عــشق أنــت ومــيضٌ مــن مفاتــنها
ومــن مغانــيها عطــرٌ يحيــي قــتلانا
آمــنت فــيكَ نجــاةً مــن مــصائبنا
وغــيمةً غــسلَتْ أدرانَ مــن خانــا
أكــاد أؤمــن أن العــشق مبدعــنا
مــنه إنتــشينا وفــيه تبقــى ذكــرانا



ابــن زيــدون أحد أدباء الأندلس الذي جمعــوا بين الشعر والنثر وجودوا فيهما كابن عــبد ربــه صاحب العقد الفريد ولسان الدين الخطــيب. وتلك مزية كاد الأندلسيون ينفردون بها لأنك قلَّ أن تجد بين أدباء المشرق من نبغ فــي الصناعتين معاً وإن كان شعراء المشرق على انفراد أكبر من شعراء المغرب وكذلك قال فــي الكــتاب. علــى أن الكلام في هذا الفصل ســيكون مقــصوراً على شعر ابن زيدون دون نثره.

كــان الأديــب الأندلــسي يــأتم بأدباء المــشارقة ويقلــدهم ويطبع على غرارهم في أســاليب الشعر والنثر ولا يرى الأدب الحق إلا ما روي عنهم فهذا كتاب العقد الفريد وصاحبه مــن أئمــة الأدب في الأندلس مروي من أوله إلــى آخره عن أهل الشرق ليس فيه من الأدب الأندلــسي غير أرجوزة واحدة في خلفاء بني أمــية بالأنــدلس لصاحب الكتاب مع قليل من شــعره. قيل أن الصاحب ابن عباد حرص على أن يطلــع علــى ذلــك الكتاب فلما حصل عليه وتأمله قال: بضاعتنا ردت إلينا، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم فإذا هو يشتمل على أخبار بلادنا لا حاجة لنا فيه ثم رده. وإذا نــبغ بينهم شاعر أطلقوا عليه اسم شــاعر من شعراء المشرق أو لقبه كابن هاني الأندلــسي الملقــب بمتنبي الغرب وابن زيدون المعروف ببحتري المغرب.

علــى أنــه مهما بالغ الأندلسيون في اقــتفاء أثر المشارقة فإن لطبيعة الأندلس أثراً لــم يخــف في شعرهم، فاعتدال الجو وحسن المناظــر فــي الأرض والسماء وكثرة الأفياء والأنــداء وامــتداد الظلال والأنهار، رقق من طــباعهم وهيأ نفوسهم لتقدير محاسن الطبيعة فــي تلــك البقعة المباركة، فمالوا إلى الترقيق ووصــف تلك المظاهر الخلابة حتى ظهر فيهم من قصر أكثر شعره على وصف الطبيعة، كابن

خفاجة الأندلسي الذي يحق له أن يسمى شاعر الطبيعة. فهم من هذه الجهة يشبهون شعراء الشام لتشابه طبيعة القطرين.

ولعل ابن زيدون من طليعة أولئك الشعراء الذي تتبين في شعرهم طابع الأندلس السحري. لأن ابن هانيء الذي كان قبله لا يتميز شعره بتلك السمة الخاصة. وهو بلا شك أوفرهم حظاً من الشهرة حتى كأن اسم الأندلس مقرون بابن زيدون وكأن شعره ذكرى عذبة لذلك الفردوس المفقود، ولا تكاد تجد شاعراً يجعلك تتصور بلاده مثله حتى أن القصائد التي عارض بها الشعراء قصيدته التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

سميت بالأندلسيات.

نشأ ابن زيدون في بيت معروف بالوجاهة والعلم بقرطبة عاصمة الدولة الأموية في الأندلس ولم يكد يبلغ الحادية عشرة من سنه حتى فقد أباه ويدلنا شعره ورسائله على ثقافة عالية ورواية للأدب واسعة. وكانت قرطبة إذ ذاك على اضطراب أمر الدولة فيها تضاهي بغداد في الحضارة ونعيم العيش وتوفر أسباب الترف واللهو. ومن أجدر من ابن زيدون الفتى النبيه بالأخذ بأوفر نصيب من حياة قرطبة في شتى مناحيها، فطلب العلم والأدب واختلف إلى مجالس الحسان ومقاصيرهن واشتغل بالحوادث السياسية التي انتهت بانقراض دولة بني أمية. ولكل ذلك أثر واضح في شعره.

وقُدر له وهو في عنفوان شبابه أن يقع في شرك ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي، وولادة أميرة برعت في الأدب والجمال كان مجلسها نادياً لأعيان قرطبة وذلك لفرط أدبها وجمالها وحسن محاضرتها وحلو عشرتها ولين حجاجها وخفة روحها، كانت تجالس زوارها وعلى ثوبها كتب بالذهب على طرفه الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالي
وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وعلى طرفه الأيسر:

أمكن عاشقي من لثم خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

فكان الأعيان والأدباء يتبارون في ذلك الميدان ويتنافسون في محبتها. ولكن ابن زيدون الشاب الشاعر الجميل أحبها حباً شديداً وأحبته هي أيضاً ففاز منها بما لم يفز به غيره. واسمعه يحدثك عن علاقة ذلك الحب بينهما ويصف لك ليلة لقائهما قال: "كنت في أيام الشباب وغمرة التصابي هائماً بولادة فلما قدم اللقاء وساعد القضاء كتبت إلي:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي
فإني رأيت الليل أكتم للسر
وبين منك ما لو كان بالبدر ما بدا
وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسر

فلما طوى النهار نوره، ونشر دنانيره، أقبلت بقد كالقضيب، وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل، على ورد الخجل، فملنا على روض مدبج، وظل سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وفاضت سلاسل أنهاره، ودر الطل منثور، وجيب الراح مرور، فلما شببنا نارها، وأدركت منا ثارها، صرح كل منا بحبه، وشكا ما بقلبه، وبتنا بليلة نجني أقحوان الثغور، ونقطف رمان الصدور، وكانت عتبة من غنتنا:

أحبتنا إني بلغت مؤملي
وساعدني دهري وواصلني حبي
وجاء يهنيني البشير بقربه
فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

فلما انفصلنا عنها صباحاً أنشدتها ارتياحاً:

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطا إذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسنا
حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم
بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت إليه ولادة مرة:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق
سبيل فيشكو كل صب بما لقي
وقد كنت أوقات التزوار في الشتا
ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعه
لقد عجل المقدور ما كنت أتقي
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي
ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً
بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها:

لحى الله يوماً لست فيه بملتقي
محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة
وأي سرور للكئيب المؤرق

ونافسه في حب ولادة الوزير ابن عبدوس وكاد له من أجله عند أميره ابن جهور فكان من أكبر أسباب محنته وحبسه وكان أشق شيء عليه في السجن بعده عن ولادة فلما فر من السجن ورحل عن قرطبة كانت ذكرى ولادة شغله الشاغل فولادة هي التي أوحت إليه تلك الأغاني الشجية الساحرة وحبها كان أشد العوامل أثراً في حياته وشعره. فلا تحفل بعد ذلك من شعر ابن زيدون إلاّ بما كان في ولادة وذكراها. هذه قصيدته التي كتب بها من سجنه إلى ابن جهور يستعطفه بها يقول في أولها متشوقاً إلى ولادة:

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر
إلاّ ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف
إلاّ على ليلة سرت مع القصر
فليت ذاك السواد الجون متصل
لو استعار سواد القلب والبصر
فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لي
أن الحوار لمفهوم من الحور
حسنٌ أفانينُ لم تستوف أعيننا
غاياته بأفانين من النظر

فإذا انتهى من هذه الأنغام العلوية وبلغ ابن جهور يستعطفه انحط عن تلك المرتبة مع أن القصيدة نظمت برسم ابن جهور

يروقك من شعر ابن زيدون أثر الترف الماثل فيه وحب اللهو وتلك اللوعة الوثابة والشوق المبرح والحنين الشديد وكل ما يمت إلى الغرام وأهواء النفس بسبب ووصف مغاني الأنس ومعاهد الذكرى فهو كشاعر غزلي أكبر منه في كل فن من فنون الشعر وما قاله في ولادة شعر حي يتغنى به منذ عهدهما إلى الآن.

ابن زيدون وإن أحب الصنعة وأقبل عليها في شعره فهو مطبوع يتدفق ماء الطبع من أكثر شعره ولا شك في أن غرامه رقق ذلك الطبع وشحذه فظل باب الغزل في شعره أحسن من جميع الأبواب على عالجها.

صنعة ابن زيدون أشبه بصنعة البحتري لا تعارض الطبع بل تجاريه وتعتمد عليه فهناك حسن انتقاء للألفاظ العذبة في الذوق والسمع وبعد نظر في استعمالها وانزالها منازلها مع تتبع برفق وبراعة لأنواع البيان والمحسنات بنوعيها معنوية ولفظية. قالوا أن ابن زيدون بحتري المغرب والحقيقة أن بين الشاعرين تشابهاً من حيث السلاسة والعذوبة والاهتمام بموسيقى اللفظ وحسن الرصف بما لا يعارض الطبع والتسلسل والتساوق ومخاطبة النفس والدقة في وصف المرئيات والهواجس وإن كان البحتري أكثر فنوناً وأوسع مضطرباً في أغراض الشعر. ومهما يكن فقد كان ابن زيدون معجباً بالبحتري يجاريه فلا يقصر عنه في الغزل والحنين. قال الصفدي أن قصيدة ابن زيدون..

أضحى التنائي بديلا من تدانينا...

عارض بها البحتري في قوله:

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا
فما لجاجك في عذل المحبينا
نلحى على الوجد من ظلم فديدننا
وجد نعانيه أو لاحٍ يعنينا

مذهب ابن زيدون في الشعر مذهب الوجدانيين الذين يعبرون عن هواجس النفس وخوالج الضمير بصور فنية خلابة تستفز الطرب وتستثير الإعجاب وإن لم يكن فيها ابتكار أو عمق في التفكير لذلك فلا تكاد تجد له معنى مخترعاً أو رأياً يعتمد على المحاكمة العقلية والتفكير العميق فإذا شئت أن تقف على براعته وسحره فالتمسهما في غزله ووجده وشوقه وحنينه كقوله:

لا سكّن الله قلباً عنَّ ذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى
وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
كان التجاري بمحض الود مذ زمن
ميدان أنس جرينا فيه اطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم
سلوتمُ وبقينا نحن عشاقا

أما الوصف في شعره فجيد بالغ إذا تناول محاسن الطبيعة لا سيما إذا كانت مربعاً للهوه أو باعثاً لذكرياته كالقصيدة التي كتبها إلى ولادة يصف الزهراء في الربيع ويشكو إليها شوقه:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله
كأنه رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم
كما شققت عن اللبات أطواقا

يــوم كأيــام لــذات لــنا انــصرمت
بتــنا لهــا حــين نــام الدهــر سراقا
نلهــو بمــا يــستميل العين من زهر
جــال الــندى فــيه حتــى مال أعناقا
كــأن أعيــنه إذ عايــنت أرقــي
بكــت لمــا بــي فجــال الدمع رقراقا
ورد تألــق فــي ضــاحي منابــته
فــازداد منه الضحى في العين إشراقا
ســرى بــنافجة نيلوفــر عــبق
وســنان نــبّه مــنه الــصبح أحــداقا
كــل يهــيج لــنا ذكــرى تــشوقنا
إلــيك لــم يعــد عنها الصدر أن ضاقا

وصــور الطبــيعة تتراءى في مواضع شــتى من شعره على اختلال الأغراض كقوله في الشكوى من السجن:

ألــم يــأنِ أن يبكي الغمام على مثلي
ويطلــب ثــاري البرقُ منصلتَ النصل
وهــلاّ أقامــت أنجــم اللــيل مأتمــا
لتــندب فــي الآفاق ما ضاع من نثلي
ولــو أنــصفتني وهــي أشكال همتي
لألقــت بأيــدي الــذل لمــا رأت ذلي
ولافتــرقت ســبع الثــريا وغاضــها
بمطلعهــا مــا فرق الدهر من شملي

وكقــوله فــي قــصيدة يمدح بها ابن جهور:

إلــى أن بــدت في دهمة الأفق غرة
ونُفّــر مــن جــنح الظــلام غــراب
وقــد كــادت الجوزاء تهوي فخلتها
ثــناها مــن الــشعرى العــبور جناب
كــأن الثــريا رايــة مــشرع لهــا
جــبان يــريد الطعــن ثــم يهــاب
كــأن ســهيلا فــي ربــاوة افقــه
مُــسيم نجــوم حــان مــنه إيــاب
كــأن الــسها فانــي الحــشاشة شفه
ضــنى فخفــات مــرة ومــثاب
كــأن الصباح استقبس الشمس نارها
فجــاء لــه مــن مــشتريه شــهاب
كــأن اياة الشمس بشر ابن جهور
إذا بــذل الأمــوال وهــي رغــاب

ومــا ســوى ذلــك مــن الأبواب التي عالجهــا كالمديح والرثاء والعتاب والتهاني لا يــستدعي في جملته الإعجاب على ما فيه من أحكــام فــي النسج وصنعة تدل على أدب جم وروايــة واسعة وثقافة عالية لأن أثر التصنع ظاهــر علــيه ينبــيك بأن الباعث على نظمه ضرورة أو مجاملة أو قضاء حق أو دفع مغرم أو جر مغنم كقصائده التي مدح الملوك بها في حبــسه وبعــد فراره من السجن أو التي هاجم بهــا حساده ومنافسيه فلا تكاد تجد بها معنى مبتكــراً أو إبــداعاً فــي جملــتها بل هي من المــتعارف المعهود وبعضها من المردد المعاد الذي ألح عليه الشعراء حتى بلي.

فالوزير ابن زيدون شاعر يجري طلقاً ويأتــي ســابقاً في ميدان صبابته وهواه فإذا تعدى حدود ذلك الميدان لم يكن من السابقين. فأناشيد غرامه وحدها هي التي تستحق الخلود ولأجلهــا قــارن بعض المستشرقين بينه وبين طيــبولوس الشاعر اللاتيني وبيترارك الشاعر الإيطالي.






شعر: مدحة عكاش

لمْ يبقَ للمُضنى بحبِّكِ من أمَلْ
خَلفتِهِ نَهْبَ المتاعبِ والعلل

أنا لا أصدِّقُ أنَّ هجرَكِ ينتهي
أبداً، لعلمي أنَّ نجميَ قد أفَلْ

لو كانَ لي أملُ بوصلِكِ لم أكُنْ
أخشى السهادَ أزارَ جفني أمْ رَحَلْ

كالنحلِ صبّارُ على لسعاتهِ
ما دُمْتَ أجني مِنْ خلاياهُ العَسَلْ

إني لأذكرُ يومَ لقيانا على
وعدٍ، وقد غزَلَتْ للقيانا المُقَلْ

غنَّيْتُ في دنيا هواكِ قصيدةً
قُبَلٌ قوافيها ومطلَعُها قُبَلْ

وطبَعْتُ في مغنى شفاهِكِ قبلةً
دميَتْ لبحَّتها خدودُكِ مِنْ خَجَلْ

أَحَسِبْتِ أنّي قد نسيتُ ملاعبي
وهواكِ من دنيا فؤادي قد رَحَلْ

إني أموتُ وفي شفاهي بسمةٌ
حيرى تحنُّ إلى ليالينا الأُوَلْ




من الشعراء الفلسطينيين المنسيين

برهان الدين العبوشي

١٩١١ - ١٩٩٥

بقلم الأستاذ:
أحمد سعيد هواش

برهان الدين العبوشي شاعر مقاتل من شعراء فلسطين العربية الفرسان قاتل قتال الأبطال دفاعاً عن ثرى وطنه فلسطين، وغنى لها وخاض معارك عديدة على أرضه الطاهرة وهو صنوٌ للشاعر المقاتل الشهيد عبد الرحيم محمود الذي اشتهر بقصيدته المغناة ومطلعها:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فأم حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدى

بل برأي - لا يقل عنه بطولة، ولأن كتبت الشهادة لزميله الشاعر عبد الرحيم محمود فقد مد الله بعمر برهان الدين العبوشي ليجاهد بسيفه ويراعه متنقلا من معركة لأخرى مستنهضاً همم المجاهدين العرب والفلسطينيين مؤرخاً المعارك التي خاضها بشعره الثوري الصادق.

ولقد ظلم هذا الشاعر المناضل، فلم تسلط عليه الأضواء بعد، فأشعاره وكتاباته لم توضع بين يدي القراء جميعها حتى الآن، وذلك بسبب تنقل الشاعر بين أكثر من قطر عربي قبل النكبة وبعدها؛ رغم ما يتمتع به من موهبة وقريحة شاعرية، إذ نجد في شعره شعلة من اللهب والمد الثوري، وقبسا من العراك النفسي والجسدي، وهذا ما يدفعنا لإلقاء نظرة عاجلة على سيرة حياته وإبداعاته الشعرية من قصائد كلاسيكية ومسرحيات شعرية، وخاصة مسرحية (شبح الأندلس) التي اشتهر بها وعد من رواد المسرح الشعري في فلسطين.

نشأته

ولد برهان الدين العبوشي في مدينة (جنين) من أعمال (نابلس) في الضفة الغربية، والده حسن العبوشي الذي أشرف على تعليمه في مدارس (جنين) وفي كلية النجاح الوطنية (نابلس) ثم انتقل عام ١٩٣١م إلى لبنان ليتابع دراسته الجامعية في الكلية الوطنية في الشويفات، ويلتحق بعدها بالجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٣٣م، وبعد سنة تم فصله من الجامعة بسبب مواقفه الوطنية والقومية.

شارك برهان الدين العبوشي في ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩م واعتقل في مدينة القدس، وتم نقله إلى (عوجا الحفير) في صحراء سيناء، ثم نقل إلى معتقل (صرفند الخراب) قبل الإفراج عنه.

وفي عام ١٩٣٩م انتدب للتعليم في العراق، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، وبعد فشل الثورة هرب إلى الموصل ومنها إلى دمشق ومن ثم وصل مدينة (جنين) ليشارك المجاهدين الفلسطينيين والجيش العراقي في معركة جنين عام ١٩٤٨ وجرح في تلك المعركة، ولما حلت النكبة نزح مجدداً إلى بغداد وعمل مدرساً لمادة اللغة العربية والدين واقترن بسيدة عراقية من أهل مدينة الموصل الحدباء ومن أسرة معروفة (عائلة الحافظ) وتوفي في بغداد.

شاعريته وإصداراته

يتمتع الشاعر برهان الدين العبوشي بموهبة شعرية ثرية، صقلها بدراساته الجادة للتراث الأدبي العربي من نثر وشعر بالإضافة لممارسته تدريس اللغة العربية لسنين عديدة، وقد انعكست في شعره آلام شعبه وأمته العربية وما آل إليه وطنه الذبيح (فلسطين) لذا نجد في شعره وألفاظه هدير المدافع وزئير الأسود، بالإضافة لم يتسم به شعره من جزالة باللفظ، وسلاسة بالمعاني وقد صدرت له أربعة دواوين شعرية هي:

١- جبل النار - بغداد - الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ط ١ ١٩٥٦م.
٢- النيازك - بغداد ١٩٦٧م.
٣- إلى متى؟ - بغداد ١٩٧٢م.
٤- جنود السماء - بغداد ١٩٧٤م.

وله في المسرح الشعري أربع مسرحيات شعرية هي:

١- وطن الشهداء - طبعت بالمطبعة الاقتصادية في القدس عام ١٩٤٧م.
٢- شبح الأندلس - طبعت بمطبعة دار الكشاف في بيروت عام ١٩٤٩م.
٣- عرب القادسية - طبعت بمطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥١م.
٤- الفداء - طبعت بمطبعة البصري ببغداد عام ١٩٦٨م.

وترك مذكراته وهي بعنوان: (من السفح إلى الوادي.. ألبي صوت أجدادي).

وقد تم إعادة طباعة مسرحية (شبح الأندلس) من قبل مؤسسة فلسطين للثقافة بدمشق عام ٢٠٠٦م، اعترافاً بما قدمه هذا الشاعر لوطنه وأمته.

وفي عام ١٩٩١م تم تقليد برهان الدين العبوشي (وسام القدس للآداب والفنون) ببغداد من قبل المرحوم الرئيس ياسر عرفات بحضور عدد من الأدباء الفلسطينيين والعراقيين.

ولنجلي الشاعر يعود الفضل بنشر تراث والدهما وذلك بالاتصال مع الأدباء ودور النشر والمؤسسات لثقافية لنفض الغبار عن تراث واحد من أبرز شعراء فلسطين الذين دافعوا عنها بالكلمة الصادقة والفداء بالنفس والنفيس.

ونظراً لتعدد دواوين الشاعر برهان الدين العبوشي وعدم توفرها مطبوعة في المكتبات، فقد اخترنا ديوانه (جبل النار) لنلق عليه نظرة تعريفية مظهرين بعض ملامحه البيانية والبطولية والاجتماعية على أمل متابعة باقي إنتاجه في دراسات لاحقة إن شاء الله.

ومن عنوان الديوان (جبل النار) نستشف مضمونه إذ يغلب عليه قصائد الحرب والجهاد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرض فلسطين إبان أعوام الكفاح الفلسطيني، فيستهل الديوان بقصيدة (أمة الحرب) مذكراً أبناء فلسطين بماضي الأمة العربية المجيد في الدفاع عن حياض الأمة والتضحية في سبيل:

أمة الحرب تستعيد علاها
بالمواضي وتسترد بناها
حطمت قوةُ الخلود عليها
عاديات الزمان يوم دهاها
تبذل الروح للفداء وتبغي
من قلوب الشباب مجداً وجاها

إن التاريخ يعيد نفسه، ففي الأمس كانت معركة (ذي قار) التي وحدت القبائل العربية ضد قوة الجيش الفارسي المتغطرس وكان النصر المؤزر للأمة العربية.

وما على الأحفاد إلاّ أن يسيروا على طريق الأجداد لطرد اليهود المعتدين، وذلك لا يكون إلاّ بالتضحية والفداء من قبل شباب الأمة العربية ليستعيدوا مجدهم الغابر.

ولكن الشاعر يصاب بخيبة أمل عندما رأى نفوس بعض قومه قد أصابها الخوار والخنوع، راضين بالذل، غير مبالين بما يقوم به اليهود اللؤماء إذ قال:

الدخيل اللئيم يسرح فيها
يتهادى بظلمه يتباهى
والشريد الطريد من آل صهيـ
ـون المرابي ذرى بقومي وتاها
أنكد العيش أن تبيت ذليلاً
في بلاد وأنت بعض ثراها

لذا يستنهض الشاعر همم الشباب العربي ليسيروا على خطى أبطال الأمة العربية عمرو بن العاص، وصلاح الدين الأيوبي، وخالد بن الوليد الذين ما نكست لهم راية، فكانوا عنوان الشجاعة والبسالة والإباء فقال:

يا شباب البلاد أحفاد عمرو
وصلاح وخالد من فداها
ان للعُرْب همة وإباء
ومضاء فقم وجالد عداها
غاية العُرْب أن يعيشوا كراماً
حقق الله بالشباب مناها

ولكن صيحات الشاعر ذهبت أدراج الرياح، فتوالت النكسات وأصحاب النفوس الصغيرة باعوا أرضهم وضميرهم إلى العدو، فها هو الشاعر يخاطب مرج ابن عامر الذي تقع على أطرافه مدن فلسطين حيفا وبيسان وجنين فيقول في قصيدة (المرج الحزين):

مرج ابن عامر باعت مجدك العرب
واستأسد الغرب والشرق يحترب
قد كنت بالأمس فخراً من مفاخرنا
وساحة فيك يجري العز والغَلَب

إلى أن قال مظهراً جشع بعض أبناء العرب الذين قبلوا ببيع أرضهم لليهود:

يبيعه العُرْب لا قلب لبائعه
وإنما همُّه أن يكنز الذهبُ

وفي قصيدة (الوطن المبيع) يظهر الشاعر أسفه وحزنه لمن باع تراب وطنه، فتراب الوطن لا يباع ولا يداس لأنه مقدس فقال:

مرغ جبينك في طهور ترابه
واسجد فإن الله في محرابه
وامش الهوينا خاشعاً متصدعاً
فلقد مشيت على رفات عرابه

وشاعرنا ابن (جنين) فقد حارب اليهود مع أهل جنين وأبناء الجيش العراقي البطل في عام ١٩٤٨م، ولمكانة هذه المعركة في نفسه وأهميتها أبدع مسرحيته الشعرية (شبح الأندلس) طبعت عام ١٩٤٩م، ثم أعيدت طباعتها بدمشق عام ٢٠٠٦م. وكذلك نظم قصيدة (معركة جنين) دونها في ديوانه هذا (جبل النار)، مظهراً بطولة وبسالة أهل جنين وما حولها وبطولة المجاهدين العراقيين فقال:

لله أُسد جنين والقرى صبروا
صبر الكرام فما ولّوا وما هلعوا
ثاروا على الخصم من خلف ومن قُبُل
وأوردوه هلاكاً منه قد جرعوا

وللجيش العراقي المآزر لأخوانه أبناء جنين مكانة سامية في نفوسهم لما قام به من تضحية وبسالة فقال مظهراً الحب والتقدير للجحفل العراقي الذي ودَّعهم:

يا جحفل النصر من بغداد آن لكم
في قلبنا لمكان الحب فاضطجعوا
تودعون وفي أجفاننا قرح
وترحلون وفي أكبادنا وجع

وقد ذكر الشاعر برهان الدين العبوشي في مسرحيته الشعرية (شبح الأندلس) ما قاله الرائد العراقي البطل محمود شيت خطاب في وداع شهداء جنين عندما أتت الأوامر من بغداد بعودة الجحفل العراقي لقواعده:

أجنين أنك قد شهدت جهادنا
وعلمت كيف تساقطت قتلانا
ورأيت معركة يفوز بنصرها
جيش العراق وتهزم (الهاجانا)

أجنـين لا أنـسى الـبطولة حـية

لبنـيك حتـى أرتـدي الأكفانـا

لقـد تلاحمـت بطولة أبناء جنين مع بطـولة أبـناء الرافدين فكان النصر، ولكن لم يرق ذلك الانتصار للإنكليز وأتباعهم في بعض البلاد العربي فتم سحب الجيش العراقي ليخفف الـضغط عـن العصابات الصهيونية المهزومة بفـضل التلاحم بين أبناء الوطن والأمة. فقال الرائد محمود شبيت خطاب:

أجنـين يـا بلـد الكـرام تجلـدي

مـا مـات ثـأر ضـرجته دمانـا

لا تـمنـي غـدْر الـيهود بُعـيْدنا

جـبلوا علـى لـؤم الطـباع زمانـا

لا تعذلـوا جـيش العـراق وأهلـه

بلواكمـو لـيس سـوى بلـوانا

وللقطـر العراقي الشقيق مكانة رفيعة فـي نفس شاعرنا العبوشي منذ زمن بعيد فلا عجـب إذ ما اختار أم أولاده من أم الربيعين، الموصـل الحـدباء، بلد البطل المجاهد اللواء الـركن محمـود شـيت خطاب، فها هو يحيي العراق فقال من قصيدة (حي العراق):

حـي العـراق جحـافلاً وبـنودا

حـي الجهابـذة الأسـود الـصيدا

حـي الكـرامة والمهابـة والـندى

والـسؤدد العربـي حـي الجـودا

رفَّـت علـى شـطيه رايـات العـلا

فـي متـنها كـتب الإلـه خلـودا

وللموصـل الحدباء مكانة في سويداء قلب الشاعر لأنها مدينة الأبطال الأشاوس، فها هو يزورها بعد النكبة سنة ١٩٥٠م، وقد حمل هموم الوطن الجريح (فلسطين) فشعر بالراحة والمواساة من أبنائها الكرام فقال:

خلفـت فـي الموصل الحدباء أتراحي

وغُـدت مـنها بـآلاء وأفـراح

لله مـا أكـرم الحـدباء قـد حملـت

همـي وسـاقتني البـشرى بأقـداح

أظلنـي بظلـيل الفـضل فتيـتها

وعلَّنـي صـيدها الأبطـال بالـراح

وهكـذا اتخـذ شـاعرنا برهان الدين العبوشي العراق موطناً ثانياً، على أمل العودة لـبلدته (جنـين) وبقـيت فلـسطين في قلبه وأحاسيـسه وانعكـست في مؤلفاته وقصائده، "واسـتطاع أن يحـتل مرتبة متقدمة بين أدباء العـراق مـن خـلال مـشاركته في المنتديات واللقـاءات الأدبية في العراق كما في القاهرة وبيـروت وآخـرها ملتقى الأدباء العرب الذي عقد في بغداد عام ١٩٦٩م.

كمـا ربطـت الـصداقة بين العبوشي وأعـلام العراق الأكثر شهرة من أمثال: محمد بهجـت الأثري (عضو مجمع اللغة العربية في دمـشق) وأحمـد عبد الستار الجواري (وزير تربية سابق) واللواء الركن المتقاعد المرحوم محمـود شـيت خطـاب، أحـد ضباط الجيش العراقـي الـذين شاركوا في معركة جنين عام ١٩٤٨م" (مـن مقدمة شبح الأندلس) تأليف: بـرهان الدين العبوشي رائد المسرح الشعري فـي فلـسطين، بقلم: محمد أبو عزة، الطبعة الأولى حزيران ٢٠٠٦م، ص ١١.